
قصص
ثابت خربيش
السجين
وقصص الدهر
خيال

بسم الله الرحمان الرحيم

دار خيال للنشر والترجمة ©

تجزئة 53 قطعة. رقم 27.

بليمور برج بوعريريج – الجزائر-

0668779826

Khayaleditions@gmail.com

ردمك : 978-9931-06-161-8

الإيداع القانوني : السداسي الثاني 2020.

ثابت خربيش

السجين وقصص الدهر

قصص

الإهداء

إلى أصحاب القرار الصائب

واسعي البال

المغامرين

المكافحين

الهدف إنساني فلا تتعمق في القضية كثيرا

السفهاء الأربعة

ذات صباح قرر أربعة من السفهاء بإرادتهم تعذيب مجموعة من الحيوانات، فاختار كل واحد منهم حيوانا ليعذبه، ثم اتجهوا إلى الساحة الواسعة هناك في الصحراء القاحلة الخالية، بدأ أول السفهاء في التعذيب، كان قد اختار أن يضع مجموعة من الحمير في شاحنة كبيرة الحجم وعندما وضعهم وأغلق عليهم شغل الشاحنة وانطلق بسرعة كبيرة، ثم توقف فجأة مما جعل الحمير تصطدم ببعضها البعض، فيسقط من يسقط ويثبت من يثبت، بعدها قام بإرجاعها للخلف وبسرعة مرة أخرى إلى أن توقف وبدأ يرفع الحامل الخلفي للشاحنة وهاهي الحمير تسقط على الأرض فوق بعضها البعض كأنها ركام حجر، منهم من انكسرت رقبته ومنهم من انكسرت رجله ومنهم من مات من قوة الثقل والاصطدام العنيف، وبعدما انتهى السفيه الأول جاء دور الثاني، لكن الثاني جاء بتعذيب أكبر من الأول فلقد اختار كلبا أبيض وجده هاربا في الصحراء، شغل سيارته وبدأ يطارده بسرعة قصوى، إلى أن أصابه وهو يلهث، فسقط يتأوه ويتوجع، فازعا، ثم انحرف بالسيارة راجعا إليه بقوة فضغط على معدته بعجلة السيارة فمات الكلب، ومع هذا لم يتوقف الحقير، الدنيء السفيه إلى أن أعاد الكرة مرة أخرى بالسيارة فدهسته حتى أصبح كورقة ملونة والدم يسيل منه، وها هو يوقف سيارته لينظر إليه مبتسما دون رحمة ولا شفقة، وبعد أن أكمل المجرم دوره جاء دور السفيه الثالث بعذاب أكبر، كان قد أتى ببقرة ضخمة، كبيرة قوية البنية، بيضاء تتخللها بقع سوداء موضوعة هنا

وهناك ربطها في الشاحنة الكبيرة بحبل خشن أداره حول رقبتها، عندئذ جاء بحجرة كبيرة وبدأ يضربها بدون أدنى سبب في رأسها! ضربة أولى، حاولت الدفاع عن نفسها ،فلم تستطع حاولت الهرب دون جدوى، أعاد ضربها للمرة الثانية في رأسها بقوة فأعماها من عينها اليسرى وجرح رأسها وسال الدم، كانت صامتة بائسة، لا أحد يسمع أنينها فيساعدها! لكن رغم كل ما فعله لم يتوقف الجبان، فقد أعاد حمل الحجرة مرة أخرى وضربها بشدة فدمر رأسها، سقطت بجسدها على الأرض ورأسها ينزف دما، معلقا بحبل حو ل عنقها، كانت تبدو مشنوقة والسفيه ينظر إليها وإلى رفاقه ويبتسم كأنه يظهر لهم أنه فعل أحسن منهم، بعذاب أكبر من عذابهم! وها هم يبادلونه البسمة في صمت، في الأخير يأتي دور السفيه الرابع الدور الأخير في التعذيب، كان قد جاء بقفص كبير متسع نوعا ما، في داخله طائر " الأوروتا" فأخرجه من السيارة ووضعه على الأرض، ثم حمل الوعاء الذي كان يحتوي على سائل يساعد على الإحتراق، فجأة أحس الطائر بشيء ما سيحدث، بالخطر فانكمش منصوبا كعمود من الخشب، دون أن يهرب أو يتحرك تعجب الناظرون من ثباته! لحظتها بدأ المستهتر بسكب السائل على القفص بالكامل، مما جعله يتبلل كليا وينهار بعد أن أشعل السفيه الولاعة وقام بإلقائها تجاه القفص فاشتعلت النيران حتى لمست الطائر، لحظتها بدأ المسجون يحترق ويحترق وهو صامت في مكانه، لا يتحرك، كان يبدو وكأنه يشهد في صمت، لكن للأسف توهجت النار أكثر فأكثر حتى احترق الطائر بالكامل وبشرف، لقد أصبح حطاما ملقيا على الأرض، والنار تتراجع حينما عرفت أن الطائر قد مات! وفجأة بدأ الآخرون بتشجعيه وذلك

بالتصفيق له والثناء على طريقة تعذيبه التي كانت مدمرة، ومن كثرة جهلهم كان قد أقر ثلاثتهم في النهاية أن رابعهم الأقوى! حينها غادر أربعتهم المكان بوسائلهم وظلت تلك الحيوانات ميتة في صحراء يابسة وخالية.

الغادة الصغيرة

غادة صغيرة مترفة الذوق كانت تحب الليمون، طلبت من أبيها أن يأتي لها بحبة واحدة من الليمون فلما ذهب للسوق في تمام الساعة الثامنة صباحا اشترى لها واحدة صفراء، مع بعض اللوازم الأخرى الخاصة بالمنزل، ولكن لحظتها خبئها في قميصه حتى يمزح معها ويرى عفويتها، وعندما وصل إلى المنزل طرق الباب فقامت الغادة الصغيرة لتفتح له وإذا بها تقول له مباشرة: هل اشتريت لي ما قلت لك يا أبي؟

فرد عليها بوجه خال من الإبتسامة، كان صارما، وكأنه يتحدث بجدية! : لا أنا لم أجد بائع الليمون بتاتا لقد بحثت في السوق بكامله فردت عليه بوجه حزين وعينين ذابلتين:

آخ أبي.. لا.. لا .. أريدها الآن!

ثم أجهشت بالبكاء واستلقت على الأرض ويداها تغطيان وجهها الحزين ورجليها منكمشتين وملتصقتين، وما هي إلا لحظات قليلة حتى أخرجها في صمت وقال لها وابتسامة عريضة قد ظهرت على وجهه الجميل: لقد كنت أمزح معك يا صغيرتي، وإذ به يقبلها قبلة واحدة على خدها بعدما جثى على ركبتيه ليواسيها ويعطيها حبة الليمو ن الصفراء، وفجأة قامت الفتاة الناعمة ضاحكة من الأرض لتقول له:

-لقد كنت أعرف أنك أتيت بها! أثق بك يا أبي، ولهذا فعلت هذا تمثيلا وحتى تعطيني إياها.

ابتسم وقال:

يا عزيزتي الحلوة لو تعرفين ما أبهى الفتاة التي تبكي وتبتسم في نفس الوقت! هذه هي التي أحبها أنا. ثم احتضنها بشدة.

الفلاح جوخ

في يوم شديد البرودة، تهيأ الفلاح جوخ للذهاب إلى الغابة فوق حماره ريتا بهدف جلب حزمة من الحطب ليشعل بها النار، لبس لباسه جيدا وحذاءه المصنوع من جلد "الغزال" وحمل بندقيته على كتفه وأخذ كلبه كين معه وقرر الذهاب في تمام الساعة الثامنة صباحا، ثم ركب حماره وانطلق، وقد كانت الغابة في ذلك اليوم لا تبعد كثيرا، حوالي أربعين دقيقة من السير على الحمار ويمكن الذهاب والرجوع في مدة أقل، وهو في طريقه إلى الغابة أخذ يتأمل في جمال الطبيعة بما تملك من أشجار الزعرور والصفصاف والصندل وأشجار أخرى مثمرة هناك بجانب الطريق الضيق، وطيور الحجل التي كانت فوق الأرض الخضراء الشاسعة، وقد كان يشاهد من حين لآخر حال الفلاحين هناك في "نيروبي" من مختلف الأعمال التي كانوا يقومون بها، نثر البذور ورعي الأغنام وحرث الأراضي المزروعة لقد كان المنظر رائعا وجميلا حقا مع استقرار الصباح وزقزقة العصافير الملونة، وهدوء الرياح، وعندما وصل جوخ إلى الغابة الكبيرة حيث الوقود المناسب، استقر في أحد الأماكن هناك بجانب أشجار الصنوبر والبلوط، وإذ به يبدأ بقطع الحطب الجاف وينتقي الخشب الصغير ويضع كل حزمة جانبا، وحين أوشك أن يكمل سمع صوت غامض كان صادر من مكان ما هناك في الغابة، كان بعيدا قليلا، لا يعرف، وقد تكرر عدة مرات مما أثاره وجعله يتوقف عن القطع، ثم ترك العمل وذهب يتتبع ذلك الصوت الخافت حتى وصل واقترب إليه فوجد مجموعة كبيرة من القردة كانوا قد اجتمعوا في هذا المكان الخالي، ولقد كان هناك معهم صغارهم، وكل صغير يركن لأبيه وأمه، ولما اقترب الفلاح جوخ إليهم ليرى ماذا يجري

هناك! كانت المفاجأة، وجد أفعى ضخمة رمادية اللون، كبيرة الشكل، وعلى طولها خطوط سوداء مرتبة شعر بالفزع ورجع إلى الخلف، من هول الموقف، خاصة عندما رأى معدتها المنتفخة في منتصف طولها الكبير، وكأنها ابتلعت شيء ما! لقدكانوا القردة يقتربون منها على شكل مجموعات، مجموعات من هنا وهناك، وكأنهم يحاولون إنقاذ شيء ما، وحتى صغارهم كانوا يخرجون من وكر آبائهم وأمهاتهم ويحاولون معهم إنقاذ ذلك الشيء! لكن الفلاح جوخ بقي في حيرة من أمره ،متعجبا وخائفا، لم يجد ما يفعله، هل يبقى ينظر فقط؟ ويتساءل عن الشيء الذي كان في داخل الأفعى! وماهي إلا لحظات قليلة مرت حتى خطط وعزم على معرفة ماذا يوجد داخل الأفعى! رجع مسرعا إلى المكان الذي وضع فيه أغراضه، ولحظة وصوله أخذ الفأس بيده ورجع إلى مكان الحادثة، ثم بقي جوخ بعيدا عنها حتى لا تسممه، عندئذ أزال بندقيته من كتفه ومسكها جيدا وصوب نحو رأسها مباشرة مما جعل القردة يخافون ويبتعدون أطلق عليها رصاصة واحدة جعلت رأسها يسقط على الأرض وينزف منه الدم، وعندما ماتت الأفعى السامة، اقترب منها الكلب كين الذي كان قد جاء معه عند استحضار الفأس وبدأ ينبح وهو ينظر إلى الفلاح وكأنه يقول له لقد تمت العملية بنجاح! ثم اقترب منها وفي يده الفأس فأمسك به جيدا وحمله من قبضته ورفعه أعلى نحو السماء وأنزله بقوة على رأس الأفعى فقطعه، وهاهو الدم يخرج منها بقوة، وبعد أن ضغط عليها الفلاح بفأسه بدأت تخرج منها الفضلات من فتحة الرأس، وإذا بالقردة يقتربون في جماعة ويعلو صوتهم فجأة ويصرخون من فاجعة وموت القرد الصغير، الذي خرج للتو من معدتها، والتي كانت

قد ابتلعته من قبل، فما كان على الفلاح جوخ سوى النظر إلى هول وحزن الموقف.

العائلة المتدينة

في الحافلة الخاصة بالطلبة حدثني صديقي يونس ونحن راجعون من الدراسة، كان ذلك تقريبا على الساعة الثالثة مساء أن رفيقه إبراهيم حدثه عن الحياة التي يعيشها في المنزل فقال له:

أنا أنتمي لعائلة متدينة، لدي أخ متزوج يسكن معنا وأخت لازالت شابة تدرس، والدي رائعان، أنا أحب المطالعة والدعوة الى السبيل المستقيم، أتمنى أن أكتسب خبرة وأصير أدع الناس للخير كما فعل أخي هذا مرة في الهند، عندما دعا الناس إلى حب الإسلام والاستقامة والهداية .. قال له: نحن لدينا برنامج يومي جميل في المنزل خاص بالأسرة ككل نعالج فيه كل نصف ساعة في المساء بعد المغرب، درس أو نسبح أو نقرأ القرآن ونحن نفعل هذا دائما نصف ساعة فقط ،كما أنه في الصباح الباكر ينهض أبي العزيز أولا قبل آذان الصبح بساعة تقريبا حتى يوقظنا بالواحد، الواحد، لنصلي صلاتنا، وزد على هذا، سأطلعك على شيء حدث مرة لأخي حينما اختل التوازن مع زوجته بسبب بعض الأمور التي حدثت بينهما كنا قد علمنا بذلك فقررنا نحن بقية العائلة أن نحضر درس خاصة بالحياة الزوجية يعالج مثل هذه الأمور، في ذلك اليوم، حتى نصلح ما جرى بينهما، وعندما اجتمعنا كالعادة في المساء بدأ أبي في تقديم الموضوع حتى انتهت النصف ساعة وفعلا تم ذلك بنجاح بعدما رجعت زوجة أخي للطريق السديد وندمت على فعلتها، إنه اجتماع رائع يا صديقي وذات منفعة خاصة وعامة ،لقد أمضينا حياتنا ونحن على هذا الحال والحمد لله الذي يسر لنا في أمورنا.

عندئذ أحسست بصديقي يونس أن الفكرة أعجبته وهو يسرد لي فيها بحب ووئام. ومن الذي لا تعجبه! عندما تجتمع الأسرة على مائدة

واحدة وكلمة واحدة وحب واحد، حب الله ورسوله، إنه لمن الراحة والسكينة والطمأنينة أن تجد أسرة تفعل هذا دائما، حتى الممات ولكن للأسف الشديد نحن نرى الآن أن الرجل لا ينظر لأولاده، حتى إنه لا يعيرهم أي اهتمام والشاب تجده يأكل وحده ولا يبالي، إلا من رحم ربي، و الأخت في غرفتها تعاني ولا تهتم وبعض الأمهات مهتمات بالمساحيق والأمور الدنيوية! أشياء كثيرة تحدث خارج نطاق الحرية ،تحدث بدون حرية، إنه مؤسف حقا زد على ذلك، إني ما شعرت بالغيظ الخفي وتأنيب الضمير، مثل ما شعرت به اليوم تجاه القصة التي حدثني عنها عزيزي، كان الشعور غريبا نوعا ما! وأنا أعلم أنه قد شعر بذلك أيضا، حينما قص عليه القصة، وأعلم أن بعضكم فقط من سيشعر بذلك، لأن البعض فقط من بقي يأنبه ضميره، نسأل الله الهداية والنجاة من النار.

الجندي البسيط

كان هناك جندي بسيط يعمل في مدينة بسكرة بالجزائر العاصمة يظهر عليه أنه رجل طيب وهادئ، كثير الصمت ولا يتحدث إلا قليلا لكنه عادة ما يكون بائسا لدرجة أنه يعمل بجد وحب ولكن دون نتيجة مرضية، لا أحد يعطي له قيمة تشعره بالحياة والوئام، الولاء، معظم الجنود في الثكنة كانوا يحتقرونه ويلومونه، ذات يوم جاء إليه "الرقيب" ليقول له: أنت اليوم لديك عمل إضافي، اذهب وراقب نواحي القاعدة هناك لزم الجندي الصمت قليلا ثم قال له: سيدي إنني قد عملت ساعاتي اليوم وأنا لم أفهم لحد الآن كيف ينقلب الدور علي دائما!

رد الرقيب غاضبا وبصرامة: لقد أمرتك، أنا سيدك، افعل ما قلت لك دون جدال، بقي الجندي ثابتا لبرهة في مكانه وهو ينظر إليه في صمت ثم حمل سلاحه وخرج مقهورا دون أن يتكلم أو يتفوه بكلمة واحدة، وفي ذلك اليوم كان الجو حارا جدا، وقت الصيف، وفي جوانب القاعدة كان هناك بعض من أشجار الزيتون المنسقة والمنسجمة، لكن الأرض كانت عطشة ومائلة ليست مسطحة إلا قليلا حيث كانت أشجار الزيتون تظهر مائلة أيضا وها هو ذا الجندي يبادر في العمل على الساعة الثانية زوالا، وبعد مرور دقائق وهو واقف في مكانه أصابته كآبة سوداء جعلته يفكر في الموقف الذي جرى معه، فيعيد المشهد في ذهنه مرات ومرات وكأنه ندم عن شيء لم يفعله ولكن شاء الله أن يصمت فقد شعر بالقهر والغلبة، كان العرق يسيل من جبينه بسبب الحر، المكان خال لا أحد فيه سوى سيارات مختلفة كانت تمر من هناك على طريق ثانوي، كانت تبعد عن القاعدة بأمتار قليلة، الأمر العجيب والمثير الذي حدث أن في تلك اللحظات، ذهب الجندي ليتظلل تحت شجرة الزيتون تلك.

أحيطكم علما أن بقية الأشجار لا تحملن ظلا، سوى تلك فقط! مشهد عجيب حقا بالنسبة لي، كيف لشجرة في وسط الأشجار تحمل ظلا! وبقية الأشجار لاتحملن ظلا، من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه سخر له ظل تلك الشجرة حتى يتظلل تحتها ويرتاح من حر الشمس، وما إن لاحظ الجندي البسيط المشهد وأدرك الأمر قال في قرارة نفسه:

نعم أولئك الأنانيون لم يعطونني قيمة أما رب العبيد فقد أعطاني قيمة وهذا ما يجب أن أحمد فيه الله على النعمة التي أعطاني إياها ولولا هذا لكنت قد غضبت بسبب حر الشمس وقتلت الرقيب المتعجرف أو قتلت نفسي! ولكن الحمد لله، لقد أراد الله أن أكون هنا تحت ظل هذه الشجرة وكأني في جنته، بعيدا عن شر الخلق.

اليتيمة

سأحكي لكم قصتي الأليمة التي تبدأ بوفاة أمي في حادث سير والتي تركتني وأنا في سن العاشرة، منذ أن ماتت أمي بعد عشرة سنين وأنا أكافح، حقا الأم هي منارة المنزل وحنان الحياة الأم هي السند وهي القوة التي نستمدها منها، لقد كانت أمي قدوتي، كانت تحبني كثيرا، وتعاملني بلطف وحنان وود، لم أشعر يوما بفقدان أمي حتى يوم وفاتها الصدمة التي صفعتني لأول مرة في حياتي، والتي أشعرتني بالضياع حقا، لقد انطفأت روحي لأول وهلة عند سماع الخبر من الطبيب "نحن آسفون لقد فعلنا ما بوسعنا عظم الله أجركم فيما أصابكم" هذه هي الصدمة التي تلقيتها وأنا في سن العاشرة من عمري، لم أكن أدرك شيئا ولا أعرف أشياء! لكن الذي فهمته وأدركته جيدا هو وفاة أمي الحنونة، الودودة والطيبة، لقد كبرت فجأة حين فقدت أمي، رغم وجود أبي وإخوتي وحبهم لي، إلا أنه لم يكن كافيا للتخفيف عني، لقد كان ألم الفراق أقوى من حبهم. غير أنني بت أتذكر مواقف أمي وأنا أنظر إليها بلوعة حب، خاصة عندما كانت تغطيني وتعتني بي ليلا ونهارا، لقد كانت تتفقدني من حين لآخر، تشعر بي. ولكن شاء الله أن تعود إليه عز وجل، وتبدأ الأحوال بعد ذلك في الاستقامة بفضل الله جل جلاله، وهذا ما جعلني أحيا من جديد وأكمل مسيرتي في الحياة، من أجل نفسي ومن أجل رضاية أمي وأبي واصلت دراستي وتفوقت ونجحت عدة مرات، وأنا الآن في سن العشرين، لقد تعلمت أشياء عدة وأصبحت ناضجة، وأعي كلمة ناضجة، لقد أدركت أن الألم مؤقت والحب مستمر. صعب على النفس أن تتقبل هذا لكن بوعينا وإدراكنا للأشياء سنفهم أن الحياة الظاهرة هذه ليست الجنة وإنما هي الدنيا فقط ،ولابد أن نعاني فيها، الحمد لله

على كل شيء، أنا أشكر الله على توفيقه وإعانته لي في اجتيازي العقبات والدواهي، كل ما أتمنى الآن أن تسعد أمي بي وألتقي بها في الجنة بإذن الله، لقد اشتقت لها كثيرا، ولكن ما عساي أفعل! علي أن أصبر وأعمل حتى ألحق بها، سوف أكون قدوة لك يا أمي العزيزة، ليرحمك الله، انتظريني أنا في طريقي إليك.

الرفيقان الغافلان

كان هناك شخص جالسا مع صديقه في مكان مظلم، وكانا يتعاطيان المخدرات، وكان بجانب المكان طريق ثانوي يمر منه الجيران ويذهبون للصلاة، وبعد لحظات أذن المؤذن صلاة العشاء فبدأ الناس يذهبون إلى المسجد والرفيقان في غفلة وبعدما خرج المصلون من المسجد مروا على الطريق، وهم راجعون إلى بيوتهم رآهم الشخص عائدين، فبقي محتارا في نفسه، ثم بدأ يكلم صديقه فقال: يا صديقي ما الفرق بين هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يصلون لله ونحن؟ فلم يرد صديقه فأعاد عليه السؤال مرة أخرى، سكت قليلا ثم أجابه وقال: "الصلاة والصلاة والصلاة"

كررها له عدة مرات، وكأنه يركز عليها، وإذ به يرد عليه مدعما إياه أكيد معك حق مئة بالمئة، ولكن هل تعرف حقا ماذا أريد الآن ؟ التوبة يا جبان!

النسر المترصد

ملك حكيم أراد أن يظهر للناس قيمة الحرية على شكل نسر فطلب من نائبه أن يأتيه بفرخ من فصيلة النسور، وبعدما وجد له النائب ذلك، زجه الحكيم في قفص كبير الحجم وظل يطعمه كل يوم حتى كبر بعد أشهر وأصبح قادرا على الطيران! وحينما تأكد من صحته وقدرته طلب من نائبه أن يجمع الناس في ذلك الجبل الذي كان مستقرا بجانب المملكة الكبيرة، عندئذ فعل النائب ما أمره، قام بجمع الكثير من الناس هناك في أعلى الجبل، وفي ذلك الحين كان الملك قد وصل إلى قمة الجبل مع النسر، فقام يخاطب الحشد: أيها الناس ،اليوم جمعتكم حتى أريكم قيمة الحرية على شكل نسر، فترقبوا ما سيفعله سأفتح عليه فتح الحكيم له باب القفص واستقر جانبا وظل ينظر إليه بدقة وتركيز وكذلك أولئك الناس، النسر يخرج، ها هو يمشي وينظر إلى الجميع وإذ به يستقر فوق الحجرة الكبيرة التي كانت موضوعة هناك على حافة المنحدر، حينها بدأ الناس بتصوير المشهد حيث كان كل شخص يحمل كاميرا متطورة ويصور، وآخرون يصورون بهواتفهم، في حين بدأ النسر الذهبي يرفع كلتا أجنحته محاولا الطيران، لكن دون جدوى، لقد كان النسر لحظتها خائفا من الطيران لأنه أول مرة سيفعل هذا، منذ أن ولد، لم يستطع جناحاه الطيران لأنها البداية الأولى التي ستشرف على النجاح في الطيران، وفي ذلك الحين حاول النسر مرة أخرى فكانت الدهشة حين هوى على حافة المنحدر الكبير وطار بأجنحته، وها هو ذا يرتفع نحو السماء ويدور حول الناس، كان يحوم مثل البوم وكأنه يريد الاستقرار مرة أخرى على الأرض، وبعدها ابتعد النسر مسافة قليلة وارتكز في مكان آخر غير الذي كان فيه وبقي هناك ثابت لا يتحرك، وحده كان ينظر

بعيونه فقط، والناس تصور هذا، وبعد مرور دقائق ظهر طائران، كانوا فوق الأرض مارين من المكان، فترصدهم النسر ناصبا عينيه اتجاههم وفجأة ارتفع النسر للمرة الثانية من الأرض وذهب مباشرة إليهم إلى أن غادروا ثلاثتهم معا نحو الربيع دون أن يرجع، لقد جاؤوا صدفة وكأنهم أتوا لأخذه معهم، وكأن الحكيم كان يعلم هذا. لقد أدرك بعدها حلاوة الطيران، وحلاوة الحرية، بعدما وجد الطائران اللذان أعطوا له جرعة أمل وعلموه أن الصعوبة في الطيران ستكون في البداية الأولى فقط ،وأن الخوف فترة وجيزة وما بقي سوى نتيجة البداية فكيف ما كانت تكون.

حلم بدون اسم

عندما كنت بصدد نشر الكتاب الأول مرت علي عدة عقبات وعراقيل، حيث أصبحت لا أنام جيدا، حتى ولو نمت فكانت تزعجني الأحلام، سأحدثكم عن حلم رأيته اليوم، أذكر أنني كنت في مكان بعيد نوعا ما عن المقر الذي أقر فيه، كان هناك شخص ما، لم يتضح لي ما إن كنت أعرفه أم لا ،من قبل!

كان المكان يبدو مظلما، وكان هناك عدة أشخاص مجهولي الهوية قد جاؤوا ليأخذوا كتاباتهم، ولقد أخذوها، ما اتضح لي ثلاث كتب كانت توزع من طرف الناشر على أولئك الأشخاص وعندما أكمل توزيع عليهم الكتب التي ألفوها، انتظرت دوري حتى أسمعه، وهو ينادي بالأسماء لقد كان يظهر التوزيع بمناداة الأسماء في ذلك المكان والحين! ولكن كانت النتيجة أنه لم ينادي باسمي في آخر النداء، وعند إكماله ذلك نظر في وجهي قائلا لي:

ما اسم كتابك؟

فأجبته قائلا: "حضور البديهية".

فبدأ يبحث عنه في تلك المائدة المستطيلة شكلا والتي كان بها مجموعة من الكتب المرتبة فوق بعضها البعض، وبجانب بعضها البعض، ما كان علي سوى الإنتظار بلهفة وشوق، علني أجد كتابي هناك، ولعله ينادي باسمي! وعلى أي حال، ها هو ذا الرجل يمسك كتاب ويضع كتاب وينظر إلى اسم كل كتاب، ثم كالتالي يمسك ويضع حتى في الأخير أمسك كتاب أسود الشكل بيده، أجل كان أسود، لحظتها قال لي:

لقد وجدته خذ!

ببرودة أمسكته في الحين، فجأة نسيت ماذا حدث؟ نسيت ما إن كنت أمسكته باليمنى أو باليسرى أو معا! ولا حتى أعتقد أنه قام بمناداتي باسمي أنا، كل ما أذكره هو أنني كنت خائفا في بداية الأمر خائفا على أن يكون كتابي غير موجود هناك، والحمد لله فقد تحقق الحلم في مخيلتي بقدرته جل جلاله.

صدمة على الشاطئ

في رحلة صيفية قررنا السفر إلى البحر أنا وخالي السعيد وإخوتي الصغار أحمد وخليل ومعنا ابن خالي الصغير عبد القادر الذي كان في نحو ١٣ سنة، في ذلك الوقت، جميل الوجه، أبيض البشرة، أشقر الشعر، وعلى ملامحه ابتسامة حيوية بارزة عادة، ليس بالنحيف ولا بالسمين، رشيق، متوسط الوزن، على كل حال ركبنا السيارة البسيطة الخاصة بالخال وغادرنا البلدة في الصباح الباكر، الساعة كانت تشير الى الرابعة والربع صباحا ونحن على الطريق نتحاور ونتبادل الأدوار مرت أربع ساعات ونصف، وصلنا إلى شاطئ البحر، أوقفنا السيارة جانبا في مكان كان يبعد عن البحر حوالي مسافة مئة متر، فحملنا أغراضنا وسرنا نحو الشاطئ، كان هذا في الصباح وكانت الساعة في ذلك الوقت حوالي الثامنة والنصف تقريبا، وعندما وصلنا قمنا بكراء مكان على حافة الشاطئ لكي نضع أغراضنا وملابسنا وماهي إلا دقائق حتى رأيت إخوتي وعبد القادر قد استبدلوا ملابسهم بسرعة وهم فرحون، أجل لقد كانت البسمة تغمرهم لحظة وصولهم البحر، ومن الذي لا يحب أمواج البحر! فذهب ثلاثتهم للسباحة والمتعة، لقد كان يوما مشمسا تتخلله هبة ريح باردة منبعها البحر، من حين لآخر، كان الجو جميلا حقا في الصباح، لقد ظلوا يسبحون لساعات وهم يلعبون مع بعض ويتبارزون بالماء، وهاهو ذا الخال يستبدل ملابسه ويتجه للسباحة، لم يسبح كثيرا وإنما قليلا، بأرجله فقط! وبعد مرور دقائق مرت وأنا مستلق بجانب الشاطئ على الرمل حتى شاهدت أحمد وخليل يسبحون لكن عبد القادر كان يبتعد عن الشاطئ فقمت بترصده ومراقبته لحظات حتى اختفى عن أنظاري، فجأة صدمت من العدم فشعرت حينها بقلبي يثور بقوة ويدق

بسرعة لقد شعرت بالخوف، نعم خفت من أن يحدث له شيء، يغرق فأكون السبب حينها نهضت مهرولا لإنقاذه وتنبيهه، بالمناداة عليه، فقد قلت في نفسي ربما الطفل غرق، وهذا ما أضعف جسدي قليلا، وها أنا أسرع حتى بقيت لي مسافة قليلة فقط أدخل فيها جوف البحر، ولكن سرعان ما اتضح لي أنه هناك قد خرج من عمقه، وبشكل طبيعي يسبح، فبدأ قلبي يهدأ، توقفت عن الجري ثم صرخت غاضبا، قائلا له من بعيد: هيا عد سريعا، أسرع، أسرع، فعاد إلى جانب الشاطئ، اتضحت لي رؤيتهم جيدا في حين أكملوا السباحة وأكملت مراقبتهم خشية من أن يصيبهم مكروه. علينا المراقبة، ولابد من ذلك، حتى لا ننصدم من الموقف، علينا أن نتوقع كل شيء في هذه الحياة قبل أن يصدمنا الواقع بحقيقته المطلقة.

الكلب المحظوظ

فلاح مزارع كانت لديه مزرعة صغيرة وجميلة ومجموعة من المواشي لا يقل عددها عن مئة رأس، يعيش في المجتمع البدائي بقرية الزيتون مع زوجته وأولاده السبعة، وكان كل يوم يذهب ليرعى القطيع حوالي ساعة أو ساعة ونصف في إحدى الأماكن الخضراء القريبة من المنزل وفي يوم من الأيام، خرج صباحا مصطحبا القطيع من الحظيرة وساقها كالعادة ليرعاها، وبينما هو في بداية الطريق ماشيا سمع صوتا يصدر من مكان قريب منه وكأنه أنين ولكن هذا الصوت كان ضعيفا وعميقا وإذ به يتقدم ويدخل في وسط أشجار الزيتون التي كانت تحيط عدة بيوت مصنوعة من الخشب، حيث الجيران والأقارب، وبعد أن اقترب أكثر بدأ يستمع لصوت كان يصدر من داخل البئر فألقى وجهه ينظر في جوف البئر جيدا وإذ به يجد كلبا أبيض يغرق، كان يظهر سوى رأسه وكانت أرجله الأمامية ملقاة على حائط البئر في الماء وأرجله الخلفية موضوعة على حافة حجرة كبيرة هناك ساهمت في بناء البئر كان يتعذب، يتأوه ويرتعد من شدة البرد في الماء، ولم يكن في يد الفلاح وسيلة تساعده على انقاذ الكلب، مع العلم أن البئر كان لا يحتوي على سلم يجعله ينزل ويخرج الكلب منه، فاستعان بصاحب البيت الذي كان قريبا منه في السكن، نادى عليه فخرج، عندها حكى له ما رأى في البئر، فقال له:

انتظرني سآتي بحبل قد يساعدنا وأنادي أخي ونذهب ثم جاء صاحب البيت وأخوه ومعهم حبل خشن طويل، فأعطاه للفلاح وعندما وصلوا للبئر قام الفلاح بتدوير الحبل حول نفسه وربطه عندئذ بدأ ينزل أسفل البئر ببطئ وهو يضع رجليه على حائط البئر وكان صاحب البيت وأخوه يساعدانه ويشدان الحبل بيديهما والفلاح ينزل وينزل حتى وصل إلى عمق

البئر، فأمسك الكلب بيديه، فاحتضنه والتصق به وبعدما تأكد الفلاح أنه أمسك بالكلب جيدا ،شرعوا يرفعو ن الحبل إلى أن وصل هو والكلب إلى أعلى البئر، فخرجا منه، ثم حمله صاحب البيت بيديه وكان الفلاح في تلك اللحظة قد نزع الحبل من حوله مقررا العودة لعمله فودعه وشكره على العمل الإنساني الذي قدمه بصدق وحب، في حين أكمل الفلاح سيره يرعى الماشية، وها هما يرجعان مع الكلب إلى البيت، فأدخله صاحب البيت وقدم له الطعام والماء الدافئ كان لحظتها جائعا وخائفا، كان يبدو ضعيفا وفاشلا، لقد بدأ يأكل وهو ينظر إليه من حين لآخر بعينين ذابلتين بريئتين حمراوين فابتسم ووضع يده فوق رأسه وبدأ يمسد عليه بلطف قائلا له:

كل أيها الكلب المحظوظ من اليوم ستعيش معي وسأجعلك حارسي في مزرعتي ومنذ ذلك الحين والكلب يساعده ويحرس ممتلكاته ويحترمه وكأنه سيده.

حكمة مدير فندق

كان هناك فندق معروف بمكانته وجماله في البلدة القديمة "القدس" وكان الزوار يأتون من كل المدن إليه طلبا للراحة والمكوث والتمتع بالمناظر الطبيعية الجميلة في مدينة القدس، وفي يوم من الأيام جلس متسول بجانب باب الفندق بهدف كسب رغيف عيشه المسكين، وفي تلك الساعة كانت الأمطار تنزل والرياح تهب حتى أوشك أن يتبلل من شدة المطر ويتجمد الشحاذ من هبة الريح الباردة، فرآه حارس الفندق يعاني، فشعر بضعفه وحاجته للدفئ، فأدخله الى الفندق بكل حب وسرور، وما إن دخل المتسول وجلس في القاعة هناك على الأريكة السوداء حتى قال له وأسنانه ترتعد وتهتز: يا بني .. أريد كأس من الماء.

فسكب له الحارس كأسا من الماء الدافئ وأعطاه له، شرب حتى روي ثم عاد يتكلم معه:

هل لديكم أكل؟ .. أنا جائع جدا

قال الحارس بشفقة ورحمة:

أجل يوجد، انتظر سأجلب لك أشهى الأطباق..

وماهي إلا لحظات حتى جاءه بالأكل فابتسم المتسول ثم قال له:

حفظك الله يا أحمد! ولكن دعني أطلعك على سر.

كان يبدو أنه يعرفه من زمان، وفجأة نزع لباسه القديم وحذائه وقال له: أنا مديرك يا أحمد. فتعجب الحارس وقال له:

سيدي لم فعلت هذا؟!

رد مدير الفندق عليه وقال بحكمة وإيجاز:

لقد فعلت هذا لكي أشعر بالمساكين والمحتاجين اللذين يأتون في أغلب الأيام ويمرون من هنا والريح يعصفهم، والجوع يقتلهم فعلت هذا يا أحمد حتى أشعر وأعيش فقرهم وحاجتهم للأكل والشرب، الذي كان يقطع أشلائهم ويضعف حركتهم، ولكي أكون عبدا شاكرا على النعمة التي أهداني إياها رب العبيد، والفضل والإحسان الذي رزقني إياه مالك الملك.

الأم والإبن الحالم

القصة بدأت بالتقاء صديقين صباحا وهم ذاهبان إلى العمل، كان المكان الذي يعملان فيه قريبا من المنزل الخاص لكل منهما وعندما وصل كل منهما إلى المصنع، افترقا وذهب كل واحد لعمله وظلا يعملان حتى غادرت الشمس من المشرق إلى المغرب، وبعد أن أكملا العمل غادرا أيضا المصنعين، متجهان إلى البيت، وفي نهاية الطريق انفصلا حيث اتجه كل واحد إلى منزله، وفي ذلك الحين اتجه الشاب إلى الدكان حتى يشتري أغراض ومستلزمات خاصة بالمنزل. حين وصل تفاجأ بوجود أمه في الدكان تشتري أشياء خاصة، لأول مرة يشاهد تلك الحالة منذ ولادته! فبقي متفاجئا، ثم نادى على أمه فاستدارت نحوه. صدم من وجهها، رآه حزينا وكئيبا وعلى جبينها آثار دم وعيناها كأنهما مريضتين ضعيفتين، كانت تبدو ضعيفة جدا، اقتربت منه فبدى أحد رجليها مكسورا، فقال لها وآثار الغضب على وجهه بارزة ودموع الضعف في أحشائه متوقفة من الصدمة التي تلقاها..

ماذا جرى لك يا أمي؟

تقدمت منه متعثرة، مسكها وحملها على ذراعيه وبدأت دموعها تنهمر، وعندما خرجا من الدكان متجهين إلى المنزل أعاد عليها نفس السؤال، ماذا جرى لك يا أمي؟ قالت له الأم ودمعتها على خدها: إن أباك من فعل هذا، أسرع الإبن في المشي وهو غاضب، وخائف، وحين أوشك الوصول لقي أباه هناك أمام الباب فنظر إليه بغيظ وغيض حتى إنه لم يتكلم معه ولا كلمة دخل وهو حامل أمه على ذراعيه فوجد أخاه الذي كان لباسه أبيض غاضبا أيضا، فلم يتكلم معه أيضا ،اتجه إلى غرفته

مباشرة، وفي ساحة البيت هناك انتبه لأحد الغرف فوجد أقاربه جالسون يتحدثون ويتحاورون كأن شيئا لم يحدث حتى أنه كان فيهم من يبتسم ويقهقه، أكمل السير إلى أن دخل الغرفة وعندما وضع أمه على السرير تألمت واستدارت على بطنها فبدأت تتأوه وتتوجع فوضع الإبن يده على ظهرها وبدأ يمسدها بحنان ولطف ولكن الأم ظلت تتوجع وتقول: سأموت .. سأموت.

ففزع الإبن أكثر وبدأت دقات قلبه تتسارع، فكانت المفاجأة أنه وجد نفسه مستلقيا على فراشه وقد استيقظ من غفلته منذ أن فتح عينيه، فقال في نفسه خيرا إن شاء الله .. خيرا إن شاء الله.

وأدرك في الحين أن القصة كانت حلما، فبقي مستيقظا حوالي ساعة تقريبا إلى أن باشر في حلم آخر..

الدب الصغير

دب ضخم كان هو وولده الصغير والجميل، الأبيض والأسود في طريقهما إلى الركن الذي يعيشان فيه، في يوم كان لباسه أبيض شديد البرودة، تتخلله الثلوج والرياح، وكان هناك منطقة جبلية تحتوي على منحدر عال ومائل مليء بالثلج، كان الدب وولده على وشك أن يمرا منه، وإذ بالأب يتقدم وهو يجري صاعدا وصغيره من ورائه يتبعه، وما إن صعد الأب المنحدر، سقط الصغير إلى الأسفل، حيث بدأ، ثم لحق أباه وهو يجري خائفا، يصعد ثم يصعد، ثم ينزل وينزل، فأعاد الكرة لكن غير طريقه هذه المرة واتخذ الطريق التي سار منها أباه حتى لا ينزلق ويختل توازنه وبسرعة متوسطة، إلى أن كاد يصعد المنحدر، في حين أباه كان يراقبه من بعيد، ينتظر قدومه، وفجأة صعد بجهد أكثر من الجهد الذي كان من قبل، أقل، في النهاية، حتى لحقه، ثم أكملا السير وهما يجريان معا الى حيث الأمان و الإطمئنان .. ثم رن ذهني قائلا:

لقد حطم كل الحواجز وصعد المنحدر باتباع الأثر، باتباع خطة والده في الصعود، كيف لدب صغير يمتلك غريزة علمنا كيف نصعد ونجاهد ولا نيأس مهما كلفنا ذلك من ثمن، كيف أمكنه هذا!

ما بين الحب والصداقة

جرت القصة في الصباح الباكر عندما قال لي رفيقي العزيز:

سامحني أطلت عليك اللقاء، فقلت له: لا بأس في ذلك.

قال بوجه مسود: لتعلم ،لقد كنت في المستشفى أعير السكر لهذا إستغرقت وقتا في الطريق.

أثار انتباهي فجأة فيما قاله لأني كنت أظن شيء آخر والكمال لله! لحظتها عرفت أنه كان في مكان ما، مكان قريب إلى الشخص الذي كان بحاجة إليه، واليوم أدركت هذا عندما قرأت رسالته التي كانت مليئة بلوم نفسه وعتابها، والتي كانت تحمل قرارا أوشك أن يختاره مبدئيا! وذلك بسبب عدم اهتمامه به، حيث أنه قال في الرسالة أنه كان ينتظر وينتظر ولكن دون جدوى، كان ينتظر ويتعذب مع كل دقيقة تمر فكانت النتيجة أنه لم يلتق به، مما جعل صحته تتدهور وحرارته ترتفع حتى وصل إلى المستشفى.

بسبب قلقه عليه وعلى نفسه! الرجل لاحظته تائها اليوم، كان يفكر ولا يتفاعل معي إلا قليلا، كما أن وجهه أصبح رماديا لحد السواد مبتسما إلا قليلا، بعدما كان يحكي ويتبادل الحوار بفرض التشويق والحماس و الابتسامات المفعمة بالحياة، آه ما الذي يفعله الحب بالإنسان؟ يفقده السيطرة بنفسه، ويجعل الروح تتألم همسا مع كل حادثة وتفكير بالمحبوب، الآن عرفت أن الحب ألم على الذين يحبون كثيرا، خاصة على الذين يخسرون فيه، ما إن أحب الطرف كثيرا أصبح هو الضحية، والموجع فيه حين لا يتأثر الطرف الآخر، ولا يشعر بما

تشعر، المعاناة أن ترى الشخص الذي تحبه قد فارق الحياة أو اختار أحدا غيرك! والحقيقة الأخيرة عرفتها على لسانه الحلو عندما قال لي:

-سامحني يا صديقي.

هناك أحسست بأن ظني في ذلك كان صحيحا، أحسست بنوع من العتاب النفسي تملكه، وكأنه فهم أنه قسر معي عندما كان ينتظره دون جدوى، هناك فهمت أن روحه تعاقب من خلال تأنيب ضميره.

أحيانا يكون صفحك لغيرك هو العقاب حقا ولكن صديقي العزيز هذا انقلب عليه العقاب!

مكر غني ونية فقير

على الساعة الواحدة زوالا اتجه لؤي صاحب مال الى البلدية لكي يقوم بإخراج رخصة السياقة من هناك، وصل إلى المركز الخاص بذلك وطلب رخصته، فجاء الموظف فأعطاها له بعدما بحث قليلا في قائمة الأسماء الذين تم إنجاز رخصهم، ثم غادر لؤي المكان وخلال خروجه من باب البلدية وجد رجلا يبدو بسيطا لا ينتمي للطبقة الغنية، معاقا جسديا على كرسيه المتحرك، جالسا، هادئا، يقوم بتغليف أوراق خاصة كبطاقة التعريف وجوازات السفر ورخص السياقة، وأشياء أخرى، فذهب إليه مباشرة وقال له: أريد تغليف هذه الرخصة.

رد الرجل قائلا:

- أهلا بك .. نعم ناولني إياها.

مسك الرجل ذلك وبدأ يغلف وبعد مرور دقائق أوشك أن يكمل فسأله صاحب المال:

-بكم تغلفون هذا؟

فقال له الرجل:

بخمسون دينار جزائري فقط.

رد عليه وقال بعد أن وضع يده على جيبه لبرهة:

أنا لا أملك هذا المبلغ لدي المجمول.

ثم انصرف مباشرة، دون أن يشكره، حاملا معه رخصته المعدلة في يده، بقي الفقير صامتا، حائرا، لم يشأ أن يتكلم! في الحقيقة مكر هذا الغني لا يساوي شيء أمام نية هذا الرجل الفقير فقد يظهر لك أن الغني

استفاد ولكن اعلم أن المستفيد وبقوة هو هذا البسيط الخسارة واضحة.

الجدة عائشة

جدتي امرأة طيبة وذكية لدرجة أنها تفهم بالرموز والحيل أحيانا أشعر أنها طيبة رغم المزاح و الابتسامة التلقائية التي تتمتع بها، إنها تملك ابتسامة جميلة ورائعة، تملأ وجهها المجعد المريح الأبيض، وفي مرة من المرات قررت الذهاب إلى عمة من عماتي هناك في جسر قسنطينة بالجزائر العاصمة ولقد كان هذا في شهر رمضان بالضبط فذهبت جدتي وقضت شهر رمضان بكامله هناك، وجاء العيد وما تزال عند عمتي، وبعد مرور العيد بأيام قليلة رن الهاتف من أحد أقاربنا هناك يقول لنا أن جدتي مريضة وهي في حالة ضعيفة جدا في المستشفى، وفي ذلك الوقت ما كان على أبي سوى أن يذهب ليرى طبيعة الأمور وفي الصباح الباكر من اليوم التالي تهيأ وغادر المنزل، وحده، إذ كنت أنا والإخوة في أيام دراسة وعمل، خاصة أنه كان لدي في ذلك الحين إختبارات بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة -القطب الجامعي- وعندما وصل أبي استقر يومين هناك، ثم وردنا اتصال طارئ وصادر من عند أبي يقول فيه أن حالتها لازالت ضعيفة ما عليكم سوى أن تأتوا إليها لرؤيتها ..

ذهبت العائلة، أما أنا فبقيت في المنزل لأن الفرصة لم تسمح لي بسبب الامتحانات كما أسلفت الذكر، الجديد، منذ مرور يومين أو ثلاث اتصلت بأبي وأردت معرفة حالتها وما بها بالذات وحينما سألته فأجاب وقال لي: في الحقيقة لقد لا زالت بنفس الحالة وهي الآن متكئة على السرير، نائمة، لا تستطيع التكلم إلا همسا كما أنها لا تستطيع التحرك، وهي متعبة ومرهقة حتى إنها أصبحت لا تميز بين الأشخاص ولا تستطيع معرفتهم معرفة جيدة. ولقد قال لنا الطبيب سبب تلك

الأعراض أنه لديها نقص في الصوديوم بكثرة والكالسيوم قليلا في الدم ولكي ترجع الى حالتها الطبيعية عليها أن توازن في الأكل وتعوض هذا بالغذاء النباتي واللحوم..

وفي ذلك اليوم أغلقت الهاتف، وكان الحزن قد تخلل وجهي.. هل تعرف ماذا فعلت؟ لقد بدأت أبحث عن أكثر الأسباب والأعراض والمأكولات التي يمكنها مساعدتها على توفير هذا الحمض الآميني الذي لا يرى إلا بالمجهر، الحمض الذي فعل لها كل هذه العراقيل في الجسم!

لقد تصفحت الكثير من المعلومات علني أساهم في العلاج تجاه هذا المرض، وعرفت أن التفاح، السوائل المناسبة، السمك، الكعك، الماء البطاطس وخاصة حساء الخضار "البوبون" كل هذا يساهم ويوفر الصوديوم والكالسيوم بنسب معينة في جسم الإنسان! فأبلغت أبي بما تيسر لي، ومن ناحية الأضرار والعيوب التي يحدثها هذا النقص فمن خلال بحثي وجدت أن الإنسان في هذه الحالة قد يصيبه التعب والإرهاق، ويؤدي إلى الغيبوبة، غياب التركيز الشعور بالخوف والغثيان، وأيضا 'الموت' وهذا ما جعلني أشعر بالخوف والفزع، لقد شعرت به في داخلي عندما تصفحت هذا وكنت في ضغوطات حقا بسبب الإختبارات وأمور أخرى، ومنذ أن عرفت ذلك أصبحت أتذكر حديثها وطيبتها.

وهي بعيدة عني، صدقني أصبحت أتخيل ابتسامتها الجميلة المجعدة المفعمة بالحياة، المليئة بالحب والحنان، في تلك اللحظة دعوت لها من صميم قلبي أن ترجع إلى منزلها سالمة غانمة، رغم كل ما عرفته وفهمته ومررت عليه من ضغوطات وامتحانات، غير أن غياب الفرصة في الذهاب إليها ورؤيتها كانت منعدمة وعائقا أيضا بالنسبة لي مع الأيام التي عشتها في تلك الأيام، إلا أن قلبي كان مزودا بأمل عودتها كل ما كنت أملك

سوى جرعة أمل أواسي بها نفسي، وفي اليوم التالي عادت العائلة إلى البيت، ولقد كنت في المنزل لحظتها، وعندما دخلت أمي الغرفة تكلمنا قليلا ملاحظا وجهها الشاحب الممزق من البكاء، هذاما كان يبدو، وفجأة امتلأ وجهي بالحزن وقلبي ازداد نبضا حينما رأيتها تبكي، لقد قالت وهي تبكي: إنها ضعيفة تماما، وأنها أصبحت لا تعرف من الشخص الذي يكلمها! والشخص الذي بجانبها، حتى أنها لا تأكل إلا قليلا وقالت لي بطريقة غير مباشرة: إنها على وشك الموت.

مما زادني خوفا وذعرا من فقدانها، حينها قلت بصوت ممزوج بأمل كان في داخلي، في عمقي، في قلبي، الأعمار بيد الله.

خاصة عندما فهمت أن كل الأقارب تقريبا رأوها بتلك الحالة السيئة، السيئة جدا قد أوشكوا على فقد الأمل أو فقدوه! ولكنني كنت في حالة ممزوجة بين الأمل والخوف وكل ما أدركته أن أملي كان أكبر من خوفي، أجل لقد شعرت به في مواقف حدثت في تلك الكينونة الصغيرة، الصعبة.. الحصول، في اليوم الموالي من يوم عودة عائلتي رجع أبي ومعه أخي إلى المنزل وكانت جدتي قد أتت معهم في سيارة الإسعاف، وعماتي أيضا، أذكر أنني في تلك اللحظة ذهبت أصلي صلاة العصر، في المسجد، لم أكن في المنزل ولحظة وصولي الى المنزل عرفت ذلك من أمي فذهبت لرؤيتها وفي عمقي كنت أشعر تارة بالخوف وتارة بالأمل، وعند دخولي غرفتها نظرت إليها فوجدتها رخوة رقيقة وكأنها مشلولة ولقد فعل بها المرض فعلته، وما كان علي حينها سوى أن قبلتها على رأسها ونظرت لعينيها اللتين كانتا تريني ولا تعرفنني بوضوح صدقني كم سعدت وكم كتمت دمعتي لحظتها، كانت في حالة حرجة حقا، لقد أحسست بقوتي وضعفي في آن واحد ،عندما رأيتها، كنت أسأل عن حالها وأنا أرى حالها!

نعم كنت مشتتا، ولكن كنت أدعو الله بالشفاء العاجل في داخلي، شكرته على الإستجابة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، مرت الأيام وفعلنا ما باستطاعتنا حتى نحقق لها التوازن الغذائي، والحمد لله، الآن رجعت سالمة غانمة بحالتها الطبيعية، مثل ما كانت، بفضل القادر على كل شيء، وخذ ما توصلت له في الأخير على الإنسان أن يجعل أمله بالله دائم ومتواصل وألا يقطع الثقة به مطلقا، وأن يدعو الله بقلبه لا بعقله حتى يحقق له ما في قلبه.

زلة لسان

وقع خطأ في ذلك اليوم المشمس والصافي، لا إراديا دون أن أدرك ذلك، عندما كنت أنا ورفيقي جالسين داخل المخبر صباحا، كنا نتحدث ونعمل بصفة عادية وصداقة قوية، ولكن مع الحماس والتوغل في الحديث قلت له: يهودي أنت!

فلزم الصمت قليلا وقال لي: جرحتني يا صديقي.

ارتعش صدري عند سماع الكلمة لكن سرعان ما أعدت النظر للوراء لكي أدرك لحظتها ماهي الكلمة التي جرحته بها، لكن لا نتيجة!

فقلت له:

كيف؟

فقال لي:

-يهودي أنا!

أحسست بالخطأ الذي فعلته فجأة وبدون إرادتي! لقد آلمني ذلك حقا، كانت زلة لسان، ما عساي أفعل! حقيقة ندمت على قولها همسا ثم قلت له في خجل:

لم أقصد ذلك يا صديقي، نيتي صافية معك.

فقال لي بصدق:

لا بأس أعلم أنك تحبني.

وأنا الآن في غرفتي، اعلم أن ضميري يؤنبني يا صديقي العزيز لو لم أكن أحبك لما كتبت عنك هذه الرسالة ،أنا أكتبها لك حتى تصفح عما قلته لك. اليوم على الرغم من أنك تقبلت عدم قصدي يا رفيقي أنا اليوم اكتشفت أنك أكثر شجاعة مني وتأكدت من ذلك بعد أن قلت لي

سامحني المرة التي مضت، سابقا، واليوم عندما قلتها لي ونحن في الحافلة، وفي طريقنا إلى الدراسة، هل تذكر ذلك؟ لقد حسبتها في عقلي وقد قلتها لي مرتين والتعلم يا أخي أنني أسامحك مع العلم أنك لم تفعل شيئا، فقط بهذه الرسالة أقدم لك اعتذاري اليوم، وأطلب منك مصافحتي يا أخي وأتمنى من صميم قلبي ألا أقول لك شيئا آخر يجرحك في المرة القادمة إن شاء الله، أعلم أنك من صنف حساس أنت شخص حساس وعاطفي وتربكك الأشياء الرقيقة والصغيرة، أعرف هذا، على كل حال أتمنى لك أمسية طيبة.

شجار

ولد أراد الزواج فذهب يتكلم مع أباه، فبدأ يتحدث معه في الأمر وما هي إلا لحظات حتى بدأ صوت حديثهما يرتفع حتى أصبح الصراخ يملئ المكان، لقد تشاجرا بالحديث بسبب أن أصل الإبن عربي، وأصل الفتاة أمازيغي، يعني اختلاف في العادات والتقاليد حينها قال له الإبن:

أعطني سببا واحدا مقنعا يجعلك خاسرا أنت يا أبي.

فقال له الأب غاضبا:

قلت لك لا، فهناك من الفتيات العربيات ما يكفي، أحس بطعنة في قلبه ثم قال له:

يا أبي المشكلة ليست في هذا، بل المشكلة في قلبي، يا أبي لو كسبت قلوب كل الفتيات العربيات فإنهن لن يعوضن قلب هذه الفتاة الأمازيغية فقلبي اختارها وانتهى.

أصر الأب على قطع العلاقة بها، فسمع كلامه، لكن منذ ذلك الحين والإبن يتعاطى المخدرات، حتى أنه بقي أعزبا حتى توفي.

الفقير والغريب الجميل

رجل فقير جلس على ركبتيه، بجانب الطريق، على الرصيف تماما وذلك بهدف بيع البيض الذي كان قد أتى به من منزله وهذا ما كان مصدر رزقه وقوت يومه في الغالب، هذا عمله، كان المكان الذي يجلس فيه يعج بالمارين هناك في مدينة بون بألمانيا الفقير كان قد وضع ثلاثة من القفف مليئة بالبيض الكبير والصغير، وإذا برجل جميل وغريب مار عليه، كان يبدو ألماني الجنسية، أنيق اللباس، كما يبدو عليه أيضا أنه ينتمي الى الطبقة الرفيعة! يسأله الرجل مرحبا، ماذا تبيع؟ رد عليه الفقير مبتسما:

مرحبا بك يا أخي ، كما ترى الذهب!

الغريب يتعجب: أنا لا أراه ذهبا!

الفقير بوقار:

اشتري واحدة وقم بفتحها سترى بعدها الذهب

الغريب لم يفهم ما قاله فسأله:

وضح لي أكثر؟!

يرد الفقير:

هذه البيضة قد تبدو لك ظاهريا لا قيمة لها ولكن في الحقيقة خالق البيضة أحسن صنعها عندما وضع "البياض" الذي يشبه الفضة فوق "المح" الذي يشبه الذهب من الداخل كل هذا ستجده في عمقها.

الغريب : كل ما أعرف أن الدجاجة من صنعت البيضة.

الفقير يوضح: نعم أعلم لكن أن أقصد خالق الدجاجة، خالق الكون

الغريب يتعجب قائلا: ومن خلق الكون!

الفقير: رب السماوات والأرض

الغريب: ماهي ديانتك يا رجل؟

الفقير: الإسلام وأنت؟

الغريب: نصراني.

الفقير: ظننتك ملحدا بأسئلتك، كيف تعبد إلها غير الله الواحد الأحد!

الغريب: وأنت كيف تعبد إلها غير المسيح؟

الفقير: كما قلت لك إن نظرتي للبيضة كانت عميقة فأنا متأكد من عبادتي وديني، أما أنت فلقد رأيت العكس، لم تتوغل في الشيء الثمين بل رأيتها مجرد، بيضة فقط!

الغريب وكأنه يدعمه: ربما معك حق.

الفقير يغتنم الفرصة ويرد عليه: الحمد لله أنك شخص متفهم، أنا أرى أن بعضهم لا يستمع حتى! والآن قل لي هل اقتنعت بأن هناك خالق أعظم ترى قدرته في الأشياء الصغيرة، المميزة والكبيرة المحكمة خالق كل شيء.. الله لا إله إلا هو.

الغريب يبتسم ويقول: وهل تظن أن بيضة واحدة ستقنعني؟

الفقير يرد بدليل: ربما ولكن طالما أنت بحاجة إليه فإن مذاقه سيقنعك بما أن شكله لم يقنعك، اسمع إلى ما يقوله الله في قرآنه الكريم وتمعن فيما قاله بقلبك لا بعقلك: " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّه هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مُرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمَلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأرض جَمِيعًا وَلِلّه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا يخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِ شَيْ ء قَدِيرٌ "

(المائدة : ١٧)

كما يقول تعالى:

" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَار "

(المائدة : ٧٢)

ظل الغريب صامتا لبرهة وهو في حيرة من أمره، كان يبدو وكأنه أصابه الخوف والشك، ثم صارحه: حقيقة أول مرة أسمع هذا الكلام! إنه يبدو محكما ومتزنا، لقدَ شعَرت بعظمته وقوته عندما قال: " قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأرض جَمِيعًا "

أعجبتني ديانتك وأقنعتني حقا.

الفقير بحب: للمذاق خصوصية وهذه الخصوصية اختص بها رب العالمين حتى يقربك إليها، هيا اعتنق الإسلام، صدقني لن تندم، هيا يا أخي قل الشهادة واطمئن "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله".

الغريب يكرر: " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ".

يرد الفقير ضاحكا:

حسنا الآن سأعطيك عشر بيضات بالمجان ستستمتع بالخصوصية من الآن إن شاء الله.

الغريب: لا يا أخي لدي المال.

وها هو ذا يقدم له المال فرفض الفقير ثم قال له: خذها صدقة وأتمنى لك التوفيق والسداد وإذا احتجت أي شيء فيما يخص الدين الإسلامي ستجدني في هذا الركن، إن شاء الله.

رد الغريب مودعا: حسنا، شكرا جزيلا، أكيد سآتي إليك من حين لآخر حتى أتعلم أكثر.

حوار بارد

يبدأ الحوار مع الطبيبة النفسانية بدخول الطالب حجرة العمل على الساعة الثالثة إلا الربع زوالا..

الطبيبة: من هذا الذي جاء معك؟

الطالب: صديقي.

الطبيبة: لماذا لم تأت وحدك، هل خفت؟

الطالب: لا بل لديه مصلحة أيضا جاء ينفذها ويتخلص منها.

الطبيبة: هل يقرأ معك؟

الطالب: نعم

الطبيبة: يظهر أنه أكبر منك سنا!

الطالب: لربما!

الطبيبة: لِم لم يدفع معك للإلتحاق بالرتبة؟

الطالب: لأن تخصصه غير مقبول .

الطبيبة: ألا تدرسون معا؟

الطالب: بالطبع لا.

الطبيبة: فهمت، لربما أتيتم بالسيارة وخفت من حادثة تحدث لكما وهو يسوق بسرعة .. صحيح؟

الطالب: لا لقد أتينا في الحافلة

الطبيبة: هل تخاف الدم؟

الطالب: لا

الطبيبة: ألا تخاف وأنت ترى الدم؟

الطالب: أنا لم أ ره بعد

الطبيبة: مثلا دم الماشية..

الطالب: لا أخافه.

الطبيبة: ألم يسبق لك أن رأيت الشاة تذبح أمامك فجعلتك تشعر بالتقيؤ أو الدوخة؟

الطالب: لا

الطبيبة: هل يعمل صاحبك؟

الطالب: نعم

الطبيبة: ماذا يعمل؟

الطالب: أحيانا في مجال الأعمال الشاقة..

الطبيبة: هل تعمل؟

الطالب: لا أنا أدرس

الطبيبة: وكيف تكسب قوت عيشك؟

الطالب: أحيانا أعمل

الطبيبة: تظهر قلقا

الطالب: لا.. لست قلقا.. أنا هادئ

الطبيبة: نعم هادئ هادئ! أنت تظهر لي متكبرا؟

الطالب: لا أنا متواضع.

الطبيبة: هل جرت معك حادثة من قبل؟

الطالب: لا

الطبيبة: هل خرجت وحدك من قبل؟

الطالب: نعم

الطبيبة: هل يظهر لك أنه عادي هذا العمل في مدينة بعيدة عن المدينة التي تقرأ فيها؟

الطالب: نعم عادي.

الطبيبة: هل يوجد في منزلكم من هو متعصب؟

الطالب: لا يوجد.

الطبيبة: لم تظهر عينك اليسرى أكبر من اليمنى؟

الطالب: لكنني في الصباح فقط قمت بالفحص الطبي..

الطبيبة: أنا لا يهمني ذلك.

الطالب: كل شخص كيف يرى، ولكل وجهة نظر يرى بها، وأنا أقدر رؤيتك أيتها الطبيبة.

الطبيبة: حسنا أكملنا.

الطالب: شكرا.

وحينما أكمل الطالب الإختبار خرج من الحجرة فسأله رفيقه الذي كان جالسا ينتظره في غرفة الإستقبال.

ماذا قالت لك؟

رد ضاحكا:

لقد كانت تود الوصول إلى دماغي والسيطرة عليه، اكتشاف نقطة ضعفي ومعرفة الحادثة التي أثرت على حياتي، خاصة ردة فعلي، لكن للأسف أنا لم أفتح لها المجال، وذلك باستعمالي الإستدلال بالتراجع

الفخ

طفل ترعرع في عائلة فقيرة وجاهلة لم تقرأ ولم تدرس، بما فيها الأب والأم، وكل الأولاد، عاش الطفل سنواته الأولى متشردا وفقيرا فعرف أصدقاء كانوا من نفس شاكلته. مخادعون سار ونشأ معهم حتى أصبحوا يعادلون الخوف والذعر في البلدة والكارثة أنهم لم يجتازوا سن البلوغ، فلا زالوا صغارا لا يتجاوزون الثانية عشر من العمر، لقد ترعرعوا في مجتمع فاسد يحتوي على الكثير من الخبائث، منها السرقة وتجارة المخدرات والظلم، نمت فيهم هذه الآفات الخبيثة حتى أصبحوا يفعلون هذا في مختلف الأماكن العمومية والخاصة وفي السوق أيضا والمؤسسات، أينما كثر الحشد كانوا هم هناك وذات مساء قرروا الذهاب إلى الجامعة ثلاثتهم، فذهبوا هناك، تخيل أن ثلاثتهم كانوا صغارا لم ينضجوا بعد، ولما وصلوا إلى الباب الكبير الخاص بدخول الطلاب والدكاترة ظلوا هناك واقفين متفرقين بجانبه يتشاورون فيما بينهم عن بعد وكأنهم يدبرون لمكيدة ما، وكانوا ينظرون ويراقبون الطلاب الذين يخرجون من الجامعة، كان أحدهم متكئا على حاشية الباب ويبتسم، الماكر في وجه رفيقه الآخر، وإذ بفتاة قد جاءت من قسم "التسيير" خارجة من الجامعة، وها هو يترصدها جيدا حتى وصلت إلى الباب الذي كان يعج بخروج الطلاب بكثرة فوضع يده في جيبها مباشرة وأخرجها بسرعة دون أن تشعر بذلك، وغادر مكانه فجأة، كانت الفتاة في تلك اللحظة قد وقعت في فخ الصغير، كانت هي الضحية حين سرق هاتفها المجرم، وبعدما وضعت الفتاة يدها في جيبها لتخرج الهاتف لم تجده! فصدمت وارتبكت وتلون وجهها صارت دقات نبضها تتسارع، وبدأت تلتفت وتبحث هنا وهناك دون معرفة السارق بينما السارق غادر المكان

بعدما فعل فعلته هو ومن كان معه مباشرة لبيع الهاتف، وعندما وصلوا إلى السوق قاموا ببيعه بنصف الثمن تقريبا، وتقاسم ثلاثتهم المبلغ وبدؤوا يتسلون به حتى انقضى، إلا أن الفتاة في ذلك اليوم حزنت واضطربت فلم تجد أحد يساعدها فغادرت الجامعة متجهة إلى المنزل ولما وصلت سلمت على أمها فرأتها أمها شاحبة وحزينة فقالت لها:

ما بك يا ليلى؟

فردت حزينة: لقد سرق هاتفي يا أمي.

قالت الأم: ومن فعل هذا؟

الفتاة: لا أدري. بحثت ولم أجده، لقد كان في جيبي ثم اختفى!

فدعت الأم على السارق. وحين وصل أبوها بعد ذلك عرف ما حصل لها، فقال لها: يا ابنتي من اليوم فصاعدا لا داعي أن تذهبي لأي مكان لا يوجد فيه أمان، بيتك أرحم.

كان أبوها شخصا عنيدا ومتعصبا نوعا ما، يصعب الدخول معه في النقاش أو حوار، فما كان على الفتاة سوى أن تسمع لما قاله أبوها ومنذ ذلك اليوم وهي بعيدة عن الجامعة حتى اقترب أجل زواجها المدبر من طرف أبوها العنيد فتزوجت برجل كان يبدو حسن السمعة وطيب القلب، واسع البال وصاحب قرار.

حادثة غير متوقعة

ذهب أندريه بحصانه إلى جبال القوقاز، مغادرا مدينته موسكو العاصمة ليستكشف حال العدو ويعرف مخططاته واتجاهاته في السير عبر الوطن، فكان يملك حصانا أحمر اللون قوي البنية وجميل الشعر، كان شكله لطيفا ورشيقا، وكان يملك كلبا رمادي اللون وفيا ومطيعا، يساعده ويرعى معه البقر والغنم يلعب معه ويصطاد معه الطيور والأرانب، في حال ما إن ذهب ليصطاد ذلك، كان الكلب كلب صيد، أما الرجل فكان فارسا ومحاربا من الروس وفي رحلة ترصده كان قد أخذ معه الكلب وحمل سيفه وأمتعته وركب حصانه وذهب بسرعة فائقة نحو مخبأ العدو، وفي ذلك اليوم كان الجو قارسا شديد البرودة بسبب الثلوج التي ملئت الأراضي والتي كانت تصب متبوعة بصافرات من الرياح، كما أن بعض المناطق هناك كانت تبدو متجمدة الأرضية كان الحصان يتصدى لكل هذه العراقيل ويجري بسرعة تفوق سرعة الرياح، وعندما دخلوا إلى أحد المناطق تجمدا في جورجيا، خفف الفارس من سرعة الحصان وبدأ يمشي ببطئ والكلب معهما يمشي بجانبهما وفجأة انشق المكان فسقط الفارس من الحصان على المنطقة المتجمدة، فدخل الحصان في داخل البقعة المتجمدة فحصل بجسده في الماء، بينما الكلب هرب عند الحادثة وبدأ ينبح ثم اتجه نحو الفارس هناك الذي كان قد سقط منذ حين وأعاد القيام بسرعة حتى يرى حال حصانه، لكن الحصان بقي عالقا في الحفرة التي انشقت وتوسعت، فمسك الفارس "حزام" الحصان وبدأ يجذبه إليه ويسحب، ولكن لا نتيجة، وترى الكلب غاضبا يجري هنا وهناك وينبح ناظرا إلى الحصان وكأنه يريد مساعدته أيضا، ولكن الحصان كان ثقيلا وعاجزا، لا يتحرك، لقد تبلل بالماء

وأصبح جسده باردا المسكين وبينما الفارس يحاول إنقاذ حصانه، إذ برجل كان قد وصل بحصانه فتوقف في الحين وألقى التحية عليهم، وهاهو "أندريه" يكف عن شد الحزام ويرد عليه التحية ناظرا في وجهه بلون متغير، فكانت المفاجأة أنه وجده إبن عمه "فالوفيتش" قد لحقه ليستكشف معه حال العدو فقال له:

الحمد لله أنك جئت في الوقت المناسب يا رجل. نزل فالوفيتش وأعطى له الحبل حتى يقوم بربطه في عنق الحصان، وعندما قام بربطه، ربط هذا الأخير في عنق الحصان الآخر، الأسود، وبدأ ابن عمه يسحب ويحاول ببطىء وكان "أندريه" يشد معه الحبل في منتصفه ويساعده والكلب ينبح ويتقدم نحو الحصان، وها هو ذا يخرج من البركة، وإذ بالكلب يسقط هناك وينبح، لكنه سرعان ما خرج لكونه خفيف الوزن ومنتبها نوعا ما، فوجد الحصان قد خرج حيئنذ وقام الفارس بإبعاده من مكان الحادثة، فاستراحا الإثنين هناك بجانب شجرة الدردار فترة قصيرة وأكملا السير ببطىء، حتى أوشكا على الوصول إلى مكان العدو ولحظة وصولهما ترصدا المكان هناك فلم يجدا أحدا سوى راعي غنم قد استقر هناك مع غنمه يرعاهم، فسأله الفارس:

هل رأيت قافلة ما مرت من هنا وخرجت من هذا الجبل؟ رد الراعي حائرا: لا والله ما رأيت أحد!

فسكت الفارس قليلا يفكر، وإذ بالراعي يسألهما:

-من أين؟

رد عليه الفارس وهو ناظرا اليه: "من ماء".

ثم غادر المكان هو وابن عمه قاصدا الرجوع إلى الوطن بسرعة فائقة، خشية من أين يكون العدو قد هاجمهم، ولكن في طريق وصولهما

وجدا جيشا كبيرا قد تقدم يدخل إلى المدينة فصُعقا مندهشين ومصدومين ذاهلين.

المواظب

أحمد تلميذ مواظب من عائلة بسيطة، بعدما اجتاز امتحان شهادة الباكالوريا لعام ٢٠١٥ ظل ينتظر النتيجة التي سيتحصل عليها وذات صباح جميل في رمضان نهض أحمد ليذهب إلى العمل لبيع الجرائد وكان قد أخذ العطلة الصيفية في ذلك الوقت خلال المسار الدراسي النهائي، وعندما وصل إلى نقطة البيع قام بتنظيم ووضع الجرائد في الحافظة النظيفة وجلس هناك وفتح جريدة "البلاد" التي جلبها مع مجموعة الجرائد المختلفة والمتنوعة من مكتبة التوزيع العمومية، وبدأ يتصفح معلوماتها، وفي ذلك اليوم كان قد تم الإعلان عن نتيجة الباكالوريا بداية من الساعة العاشرة صباحا، أحمد كان لديه علم بذلك، وحين عرف أنهم أعلنوا النتيجة، بدأ الخوف ينمو بداخله وبدأت نبضات قلبه تتسارع كضبي مذعور، فبقي في نقطة البيع دون أن يفعل شيئا، كان هو وأحد أصدقائه في تلك اللحظات والذي يملك دكانا خاصا بمستلزمات الهواتف النقالة والتعبئة، صديقه هذا كان لديه علم أيضا بالإعلان فبدأ يصبره ويقول له لا تقلق يا أحمد ليست نهاية العالم ،اعلم أن كل شيء بقدر وبعد مرور دقائق، دخل عبد الشافي أخ أحمد إلى الدكان فسلم عليهم والذي كان يكبر أحمد سنا وخبرة، أحمد لحظتها زادت دقات نبضه وهو ينظر إليه في صمت، وأخوه يبادله النظرة بنظرة شاحبة خالية من الإبتسامة والفرح، فأدرك أحمد أنه رسب لأول مرة في حياته، وتأكد من ذلك حين أعلمه شقيقه بذلك قائلا: عام آخر إن شاء الله. فما كان على أحمد سوى مغادرة الدكان والانعزال وحيدا، خرج منه دون أن ينطق بكلمة مباشرة إلى المنزل، كان قد تلون وجهه واسود ، تعكر مزاجه وبدأت عيناه تترقرقان دمعا دون أن تسيلا، كانتا عالقتين في جفن

العينين فأنزل وجهه نحو الأرض وظل يمشي على ذلك النحو حتى وصل إلى المنزل، وعندما دخل وجد أباه فتحدث معه وأبلغه بأنه رسب ولم ينجح، فانسكبت دموعه وبدأت تهطل من شدة الخبر، كانت يده على وجهه في تلك اللحظة، تغطيه تقريبا، كان يبدو أنه لا يريد إظهار ضعفه وفشله، ولكن دموعه أعلنت ذلك، فلزِم الصمت لحظتها ولم يشأ أن يتحدث ولا أن ينطق بكلمة واحدة أخرى وسار متجها صوب غرفته حيث الأسرار والأحزان، حيث يجد راحته ويجلس وحيدا يعاتب نفسه، ثم دخل الغرفة واستلقى باكيا على سريره ورأسه تحت الوسادة، ووجهه نحو الحائط، كانت أمه قد علمت بالأمر فحزنت وأصبح وجهها عابسا، رغم هذا كانت قوية، دخلت الى غرفته فهونت وخففت عليه وقالت له لا تفعل هذا .. هذا قدر الله

وما إن تكلمت أمه حتى ازداد بكاء وكأن كلماتها كانت تطعن أشلائه وصار حينها لا يطيق الكلام، كان يريد أن يكون وحده، لم يكن حاضرا بكامل قواه ليتصدى المواقف، كان كل ما يدرك في تلك اللحظة أنه فشل لأول مرة في حياته، ما أصعب الفشل عندما يكون نجاحك مرتبطا بأهلك، عندما يكون أحدهم ينتظر نجاحك ولكن شاء الله أن يكتب لأحمد الرسوب. ولما مر ذلك الحال على أحمد، كان قد فكر خلالها عدة مرات تفكيرا جيدا، فقرر إعادة الخوض في الإختبار مرة أخرى ولكن هذه المرة قرر أن يدخل بقوة، أن يستعد جيدا، وأن يعمل على النجاح بشدة، فتم الأمر باجتياز كامل العراقيل والنجاح لأول مرة في حياته، فأدرك حينها حلاوة النجاح وعرف أن هذه الحلاوة قد أذهبت ركيزة الفشل عن منظوره تماما بعد أن أصبح الفشل تركيبة من هذا النجاح التي ساهمت

كحافز، وفي الأخير تذكر وهو يصنع مجدا هذه الحكمة التي قالها له أخيه "إن الله يمهل ولا يهمل".

الخداع الخفي

سامح شخصا بحاجة إلى المال وأنت لا تعرفه حق المعرفة وشعرت بحاجته، فعملت على مساعدته وأعطيته المال، ذهب ومعه المال الذي قدمته له ليدفع فاتورة الكهرباء والغاز، قد تكون بعدها أنت علمت أنه سدد دينه وانتهى، ولكن لا تعرف ما وراء الستار وماذا فعل ببقية المال، هنا يكمن الإحتيال والخداع الخفي، لأنه في ذلك الحين كان قد ذهب مباشرة إلى الخمارة واستقر وحده دون علم أحد وفعل فعلته حيث بدأ يشرب بالمال المتبقي حتى فقد وعيه، ستقول لي لقد فعلت ذَلك في سبيل الله نعم صحيح ولكن الحذر يا عزيزي فقبل أن تفعل خيرا لأحدهم اعلم أولا هل هذا الشخص يستحق الخير، هل هو أهلا للخير؟ إن كان من ذوي الإحتياجات الخاصة فلتفعل ذلك، كما عليك أن توقن أن هناك أناسا لا يستحقون ذلك، مثل سامح هذا، الحصول، لا تعطي محتاجا أكثر من حاجته، وقس على ذلك، هل فهمت!

الفيل الصغير

في غابة "ماديدي" المليئة بالحيوانات المتوحشة جرت حادثة بين أسد أشقر شرس وفيل أحمر صغير، حينما كان الأسد يتجول في وسط الغابة هو وصغيره، وإذا به يراقب ويصطاد فريسته من بعيد بعدما رأى فيلا صغيرا على مجرى من الماء هناك يشرب منه، وإذ به يقترب منه ببطئ حتى مسكه وانقض عليه فأسقطه أرضا بمخالبه الماضية ثم عضه مفترسا بطنه، والفيل يحرك أرجله في صمت ويحاول النهوض لكنه لا يستطيع، وماهي إلا لحظات حتى لحقه الشبل الذي كان منفصلا عنه لحظتها، فوضع رجله الصغير على عنق الفيل الصغير وكشر عن أنيابه ونبشه فآلمه، كان الفيل يصارع ويحاول النهوض ولكن دون جدوى، كان يتألم من الوحدة والضعف الذي وجده أمام الأسدين، ولكن سرعان ما تبين قطيع من الفيلة قد أتى لمساعدة الفيل، حينئذ هربا الإثنين حينما رأوهم بذلك العدد، وعندما لحقوا به وجدوه على وشك الموت، مصابا في عنقه ومعدته، كان قد أصيب أيضا بعدة خدوش في جسده، كان الصغير ضعيفا يحتضر فلم يجدوا ما يفعلونه هؤلاء الفيلة سوى النظر والحزن، لكن الفيل كان له حظ عظيم، فلقد كان هناك صياد بسلاحه مار مع كلبه على طريق البحيرة الصغيرة، بعد الحادثة، وإذ به يرى الموقف من بعيد فاقترب مباشرة إلى مكان الإصابة، رآه مستلقيا على الأرض والدم يسيل من بطنه، فأصيب جسده برجفة، ثم ها هو ينبطح على ركبتيه ويخرج قطعة من القماش كانت في محفظته التي كانت معلقة على كتفه فوضعها على الجرح وضغط عليها بقوة حتى يتوقف الدم، وإذ به يثبتها عليه وينهض مسرعا لجلب "عشبة النيم" لكي تساعده على التئامه وعندما أتى بها طحنها، ثم بللها ووضعها على الجرح العميق

وربطه حينئذ ساعده على الوقوف فقاوم الفيل الصغير الألم ونهض على أرجله الأربعة، ثم بقي واقفا قليلا وأكمل يسير مغادرا المكان، مع باقي الفيلة، وكان كلما ابتعد عن الصياد نظر خلفه ورآه

مكيدة

في الصباح الباكر سافر شعيب الضخم والبدين من المدية إلى البليدة قصد قضاء وشراء بعض الحاجيات، وعندما وصل إلى محطة المسافرين نزل من الحافلة حاملا محفظته ونظاراته عندئذ اتجه إلى أحد سائقي سيارات الأجرة هناك في المحطة، فتكلم معه وقال له:
السلام عليكم، يا أخي ألا تعرف دكان خاص يبيع ملابس جيدة، أنا أريد شراء بعض الملابس.

فرد عليه وقال له: وعليكم السلام، نعم أعرف ..

ثم قال له شعيب: هيا بنا إلى المقر.

أخذه السائق وقاده إلى المحل، في حين دفع له ألف دينار جزائري ثم شكره على مساعدته، بعدها دخل إلى المحل، فوجده واسعا وكبيرا مليئا بالملابس والأحذية ،بأشكال عديدة، كان صاحب المحل جالسا هناك على الكرسي ومعه شخص آخر واقفا أمام المرآة يبدو رفيقه قال لهم شعيب: السلام عليكم، ما شاء الله لديكم ملابس جميلة ومناسبة.

رد عليه البائع: نعم كما ترى يا أخي، اختر ما تشاء وسوف نساعدك قدر المستطاع، ثم بدأ شعيب يختار ما يخصه من الملابس دون أن يقيس ذلك، كان يختار مباشرة ويضع في محفظة خاصة جلبها معه وكان صاحب المحل وقتها هناك يراقبه وينظر إليه من حين لآخر وكأنه يدبر له مكيدة ما! وها هو شعيب ينتهي من شراء ما احتاجه، وبعدها قال للبائع:
يا أخي، هل تعرف فندقا جميلا وقريبا، أريد الاستراحة والنوم فيه؟

لزم الصمت قليلا، ثم نادى على صاحبه الذي كان هناك في ذلك الركن يقلب الملابس رفيقي هل تعرف فندقا قريبا؟ فقال له سريعا وشعيب يسمع:

نعم أعرف، يمكنني اصطحابك إليه بسيارتي، قرر شعيب الذهاب معه إلى الفندق، ركبا السيارة وانطلقا نحوه، في الطريق أخذالسائق الهاتف الخاص به وقام بالاتصال بأحد الأصدقاء لكي يخبره عن مكان إضافي في الفندق، لكن للأسف كانت النتيجة سلبية، حينما قال له لا مكان. أعتذر يا صديقي، كان قد سمع شعيب ذلك فقال:

وما الحل الآن؟

قال السائق مهدئا الوضع: لا تقلق يا أخي، إذا لم نجد حلا، سوف آخذك معي إلى المنزل، لا مشكلة في ذلك.

ارتاح الرجل قليلا، وما هي إلا دقائق قليلة وهم على الطريق، حتى قال له السائق، سأتصل بصديق لي ربما يعرف فندقا آخر قريبا، ثم رد شعيب: بصوت خافت، لا بأس.

أخذ يتصل به وعندما تكلما قررا أن يلتقيا في أحد الأماكن في المنطقة المجاورة، وبعد دقائق وصلا إلى المقر، وجدا الصديق ومعه فتاة نحيفة، كانت تبدو متدينة بالحجاب! ركبا السيارة ورحبا بالرجل ترحيبا لائقا، وأكملوا الطريق حتى وصلوا إلى أحد الأزقة الخالية توقفوا ونزلوا متجهين إلى منزل كان يبدو قديما ومبعثرا من الخارج في حين أصيب شعيب بالقلق والذعر، كان ذلك يظهر على وجهه، لاحظ السائق ذلك، وإذ به يتكلم معه ويطمئنه قائلا:

-أنت معي لا داعي للخوف.

وحين دخلوا إلى المنزل توجهوا إلى إحدى الغرف، وجدوا رجلين جالسين على المقعد، وفجأة نهض الرجلان وأمسكا شعيب من يديه وعانقاه، ثم قال له أحدهما في غضب:

- هيا ضع ما عندك من مال.

فأخذ يصرخ:

دعوني وشأني، أنا لا أحمل شيئا، ليس لدي شيء، أتركوني يامخادعين، فأخذ يسكته أحدهما قائلا:

أصمت وأخرج ما عندك وإلا ضربتك ضربا مبرحا..

أخرج الرجل ما في جيبه من مال، كانت ألفين دينار، استغرب الكل ! وها هو السائق الذي جلبه ودبر له المكيدة يفكر، ناظرا لرفاقه ثم قال لهم: انتظروا .. سآتي.

ذهب مباشرة إلى السيارة وجاء بمحفظته وعندما وضعها على المائدة وفتحها وجد فيها الكثير من المال، وبعض الملابس، مما أدهش وأفرح الأربعة، فأخذ شعيب يقول له:

لقد وثقت بك، لم أكن أتوقع أنك دبرت لي كل هذا، يا لك من مجرم.

فرد عليه غاضبا ومتجاهلا كلامه:

أصمت، كم قيمة هذا المال؟ هيا قل.

فقال لهم: تسعون مليون.

ابتسمت العصابة في صمت. خبأ أحدهم المال ومسك اثنان منهم الرجل وأخرجاه وحذراه من أن يذهب ويبلغ عما سرق له، وكان ذلك بعدما أركباه في السيارة وتركاه في منتصف الطريق بدون شيء، سوى ألف دينار كان ذلك اقتراحا من الفتاة، أن يعطوه ألف دينار حتى يغادر

بها، حزن شعيب واكتئب ثم أخذ يفكر حتى قرر الذهاب إلى فرقة الدرك الوطني ويقدم شكوى، ففعل ذلك وتمت التحريات بصرامة إلى أن كشفوا الفاعلين بمساعدة شعيب طبعا، الذي تعرف عليهم انطلاقا من الأرشيف الخاص بهم، وعندئذ تشكلت دورية دفاعية واتجهوا ليمسكوا بالسارقين، فتم الأمر بنجاح حين مسكوا الثلاثة في مكان كانوا يجلسون فيه، يتحاورون ويدخنون، وبعدها أكملت الفرقة التحري باستجوابهم حتى كشفوا مكان المال المسروق، الذي خبؤوه في منزل الجريمة، فجاؤوا به وأرجعوه إلى شعيب، كما أنهم كشفوا أيضا صاحب الخطة الأول، سائق سيارة الأجرة، الذي شارك معهم في الخطة، وصاحب دكان الملابس، في الأخير حكم على كل واحد منهم بالسجن لمدة سبع سنوات، غير أن الفتاة حكم عليها بالبراءة التامة لأنها صرحت أنها كانت مهددة من طرف زعيم العصابة، بالقتل!

الفكرة الأكبر

الحمد لله أنك أصبحت يقظا يا محمد، بالأمس لقد أدركت أن الحب الذي أعطيته لها قد تلاشى وأصبح مثل السراب عرفت أنك خسرت الحب لأول مرة في حياتك، ولكن لا تقلق، لا تجعل هذا يؤثر على حياتك، لتدرك هذا جيدا، بل هذا سيجعلك أقوى، ناضجا رغم العذاب الذي مررت به، سوف تتعلم من ألمك، أليس كذلك؟ محمد بوقار:

صحيح يا خليل سوف أتعلم من ألمي..

الحياة مؤلمة أعرف هذا ولكن اعلم أيضا أنها بسيطة وحيوية على الذين يعرفون فكرة لماذا نعيش، لأي شيء؟ يا محمد نحن نعيش لأشياء كثيرة، الحب، الرحمة، التعاون، ولكن الفكرة الأكبر هي أننا نعيش من أجل كمية ماء، هذا هو الهدف الذي ينبغي العمل عليه، وبهدف أن تجعلنا هذه الكمية نعيش مدى الحياة وإلى الأبد، الخلد تماما، هل تدرك معنى كلمة خلد؟ يعني الحياة وفقط، لا موت بعدها أبدا الإستمرارية إلى مالا نهاية، الآن ستنمو بصيغة أخرى أليس كذلك يا عزيزي؟ فقط أعبد الله وخطط بعقلانية إلى أن تغمرك السعادة دائما.

المرأة العجوز والكلب الوفي

عجوز صينية طاعنة في السن، من الطبقة السفلى، فقيرة لا تملك شيئا سوى كوخا صغيرا وكلبا أبيض وفيا، كان يساعدها من حين لآخر في بعض الأمور، وذات يوم جاء عابر سبيل للعجوز ليقدم لها طعاما للغداء مساعدا إياها، فشكرته العجوز على عمله الكريم والطيب وبعدها غادر الرجل، في حين فتحت العجوز الكيس فوجدت فيه خبزا وحساءا وقطعة لحم كانت كبيرة نوعا ما، عندئذ أمسكتها بيدها اليمنى وهي تنظر لكلبها الأبيض، الضخم والقوي، فنادته باسمه "كينغ" تعال. فجاء إليها بسرعة ثم رفع رجله وسلم عليها وهي تقول له:

هل أنت جائع؟

بقي ينظر إليها في صمت وبدون حركة، وبعدها أعطت له قطعة اللحم فردها، حاولت مرة أخرى بتقريبها لفمه فردها ولم يأكلها، لم يشأ أخذها ثم ابتعد عنها وذهب لأخذ خبز كان موضوعا فوق المائدة الصغيرة الخشبية، وها هو ذا يأ كل وهو مستلق على الأرض، كان هادئا وثابتا في مكانه، ناظرا إلى المرأة العجوز وكأنه يقول لها: هيا كلي قطعة اللحم، أنت أولى بها يكفيني معك أن آكل رغيف الخبز.

هذا وكفى!

ثم ابتسمت المرأة العجوز وبدأت تأكل قطعة اللحم ببطىء واطمئنان، لقد كانت جائعة هي وكلبها في ذلك الحين، كان الكلب قد أحس بجوعها وكبرها وضعفها الذي جعلها عاجزة عن العمل .. لقد أعطاها الكثير من الحب و الإهتمام، اللطف واللين، يا أسفاه قد يكون الإنسان في حد ذاته يفتقر لفعل واعطاء هذه الأشياء بالمجان، آه لو

تعلمون كم كان لطيفا معها! خاصة في ذلك اليوم بالذات، عندما كان في الشارع يتجول هنا وهناك وإذ برجل شريف ونبيل يعطيه رغيف خبز وهو يداعبه بيده على رأسه، وفجأة مسك الكلب رغيف الخبز بفمه وعاد مسرعا إلى بيت العجوز فقدمه لها الوفي، فلم تشأ أخذه، لكن الكلب أصر على إعطائه لها حتى مسكته وتذوقته فأكلته.

القسمة غير العادلة

رجل في الواحد والعشرين، تزوج فتاة من أصول أمازيغية وفي الأيام الأولى من الزواج عاشا رفاهية وسعادة، كانا قد حققا أمنيتهما، ومع مرور سنتين صدم الرجل عندما عرف أن امرأته لا تنجب الأولاد.
تغيرت الأحوال وظل الرجل يفكر في شيء يشفي حاله، فتزوج فتاة أخرى وعاشت معه وبعد مرور فترة من زواجه الثاني تفاجأ حين أنجبت زوجته الأولى ولدا، ففرح الرجل بذلك ومر الحال هكذا، إلى أن أنجبت امرأته الثانية ولدا أيضا، ثم بعد مرور أشهر جرت الفاجعة الأولى التي تطورت إلى وفاة ولد المرأة الأولى مما جعل الزوج يحزن لفراقه وفقدانه، ومنذ ذلك اليوم كان يتمنى أن يكون له ولد آخر من الزوجة الأولى، فرزقه الله ذلك إذ أنجبت المرأة ولدا آخر ولكن هذه المرة أنجبته معاقا، فصدم مرة أخرى، وبعد مرور وقت بدأت المشاكل بين الرجل وزوجته الثانية وكانت قد حدثت الكثير من المشاكل بين الثلاثة أيضا وفي ذلك الحين كانت حاملا بمولودها الثاني، ومع أن المرأة كانت تحبه حبا جما، حتى أنها قد عانت من أجله الكثير. مرت سنين وهم يعيشون تحت سقف واحد على ذلك الحال تقريبا، حتى جاء يوم حدثت فيه مشكلة كبيرة، بعدما نضج الأولاد وكبروا وأصبحوا رجالا، كانت المشكلة مشكلة قسمة وعدل، حيث تم فيها إعطاء الرجل قسمة أكبر لزوجته الأولى وأولادها، بينما زوجته الثانية وأولادها أعطاهم قسمة أقل من الأولى، حينها أدرك الأولاد أن الرجل لا يحب ولا يهتم بزوجته الثانية بقدر ما يهتم ويحب زوجته الأولى، حتى أن المرأة أدركت منذ ذلك اليوم أن كرامتها قد ضاعت في سبيل رجل أصبح لا يهتم في السنوات الأخيرة كانت الحياة بينهم مليئة بالمشاكل والعراقيل وكذلك الظلم، حتى وصل يوم الوعي والفهم حين

عرف أولاد الزوجة الثانية هذه القاعدة الصلبة "**ما بني على باطل فهو باطل**" والمعنى هو أن الرجل لم يتزوج الزوجة الثانية لحب واهتمام وعيش هنيء وإنما تزوجها لسد نقص وجده في زوجته الأولى التي كانت لا تنجب الأولاد في السابق، المفيد هو أن الرجل تزوجها بهدف إنجاب الأولاد وليس بهدف المحبة والمودة والعيش معها كشريكة حياة تحمل كرامة وحقوق.

القصة المملة

بالأمس حلمت بعبارة متوسطة كنت أرددها حتى لا أنساها وكي أدونها في الورقة لحظة استيقاظي، حقيقة لا أدري كيف أنا أحلم وأشعر أنني مستيقظ! لا علينا، وبعد مرور اللحظات القصوى من الحلم استيقظت فوجدتني نسيتها، لا أدري كيف! كانت قد بقيت كلمة واحدة فقط راسخة في ذهني ،كانت الكلمة تبدو أكثر إحساسا وقوة مما جعل عقلي محافظا عليها ربما أكثر من الكلمات الأخرى! ما أشد الكلمة عندما تكون أكثر إحساسا وترفا، خاصة عندما تؤثر على عقل الإنسان، ببهجتها وعلى صاحبها، لا أدري ماهية هذه الكلمة جَيدا إذ أنني بحثَت في معناها، رغم وضوحه، في الأخير وجدته كالتالي "أدَاةٌ من نُحَاس أو نحوه مجوفة، إِذا حُرِّكَتْ تَتَذَبْذَبُ فيها قطعةٌ صغيرةٌ صُلْبَةٌ فيُسْمَعُ صوتُها" أما الكلمة التي ترسخت في ذهني هي "الأجراس" يعني جمع جرس، أي الحركة والصوت، قد تكون القصة مملة لكن فيها فائدة أليس كذلك؟

القسمة العادلة

بينما نحن جلوس في المحل جماعة، أقبل يعقوب وعلى وجهه ملامح فرح وسرور، راحة وسكينة، سلم علينا وجلس يتحاور معنا، وإذ بعيسى (رفيق آخر) كان معنا يسأله: ما بك سعيد لهذه الدرجة اليوم؟ فرد عليه يعقوب وابتسامة عريضة تشكلت في وجهي:

محبة ذلك الرفيق من فعلت هذا بي وجعلتني سعيدا لهذه الدرجة، فقال له عيسى حائرا:

وما في هذا الحب؟

يعقوب بوقار:

السكينة والراحة يا رفيق.

فرد عليه:

وضح أكثر يا يعقوب، وكيف هذا!

فقام يحدث الجماعة التي كانت هناك إذ قال لهم:

سأسرد لكم القصة التي حدثني عنها رفيقي صالح حيث كان يقول لي ونحن في المقهى، لقد أحببت فتاة من صميم قلبي يا صديقي وبكل جوارحي ثم قررت الذهاب لمنزل أهلها أخطبها فذهبت وعندما وصلت طلبت يدها من أبيها فقبل طلبي، من هنا بدأت سعادتي، وبعد أن وافق أبوها والفتاة تزوجنا وعشنا في راحة وسكينة حتى جاء اليوم الذي قالت لي فيه فتاتي: يا زوجي العزيز لقد اشتقت لأهلي، أريد زيارتهم ومعرفة أحوالهم، أليس لديك مانع إن ذهبنا غدا؟

فقلت لها بالطبع لا يوجد مانع، وفي الغد ذهبنا صباحا إليهم لقد استقبلنا أبوها استقبالا حارا، جيدا، وكذلك الأهل عامة، هل تعلم؟ في

تلك اللحظة غمرتني السعادة أكثر وأكثر، مما جعل حبي لأبوها يزداد أكثر فأكثر، إنه طيب حقا، أنا أحبه حبا كثيرا يا يعقوب، وكذلك إخوتها، أمها، أحبهم. لن أطيل عليك المهم بعد الغداء قررت الذهاب لعمل كان قد طرأ، هنا تغيرت أحوالي، عند خروجي من البيت، هل تدرك ماذا فعلت يا يعقوب حينما خرجت من المنزل؟ وضعت يدي على حائط منزلهم الجميل وقبلته عدة مرات، قبلته خشية من أن أترك زوجتي هناك ولن أعود أو تعود .. قال لي لقد أحببتها حبا عفيفا يا أخي، لقد أحببت كل من كان له علاقة بها، أهلها، أبوها، أمها، أخوها، آه لو تعرف ما معنى أن تحب فتاة وتكون زوجة لك. بهذا أكمل قصته يا رفاق.

وإذا بيعقوب يردف مسرورا: لقد غمرتني السعادة وهو يسرد لي القصة الجميلة والنقية، أعلم أنه تقاسمها معي بدافع أن أشعر بالسعادة والراحة، لو تعلمون كم كان عادلا معي في قسمته! وها أنا أتقاسمها معكم يا أصدقائي بكل عدل أملكه ولأنني أعلم أن الحب الصادق والعفيف غالبا ما ينشر السعادة و الإستقرار في قلوب الناس، لهذا أحببت أن أتقاسم معكم كل هذا، أتمنى من كل قلبي أن يهبنا الله الزوجة الصالحة وأن يمدنا الراحة والسكينة، قولوا آمين ..

الثمرة الطيبة بحاجة لحل

قال لي إلياس: أ ريد حلا لمشكلتي العائلية يا صاحبي .

فقلت له: هل تعاني من مشاكل عائلية!؟

قال: نعم للأسف.

قلت له: حدثني ربما نجد حلولا لذلك .. أنا أستمع.

قال بصوت هادئ وفي خجل!

أبي يدخل سكران كل ليلة ثم يبدأ بالصراخ والنواح كطفل ضاع حذاؤه ولعبته الصغيرة في الشارع، وأمي تبدأ بالبكاء من وجه الموقف وأختي تتعارك مع أخي الأصغر منها سن وتبدأ تصرخ في وجهه، تكاد تضربه أما أنا فلم أجد سبيلا للنجاة على الرغم من المحاولة المتكررة ،سوى غلق باب الغرفة وبداخلي مئة وجع وعلى وجهي طلاسم الحزن والكآبة فقلت له بود:

يا رفيقي العزيز: أنت الوحيد في المنزل الذي عليه نصحهم وإرشادهم وتخفيف آلامهم، أنت ثمرة طيبة يا إلياس، أشعر بذلك ،أعلم هذا، لكن حذاري، عليك أن ترضى بما قسمه الرب لا إله إلا هو ،إستعن بالله وثق فيه، سيساعدك لن يهملك لتدرك هذا، ولتبدأ بأبيك عندما يصحو ويكون على حال لا بأس به أمسكه من يديه وقل له: يا أبي أنت قدوتي، هل تدرك ما معنى أنك قدوتي، هذا يعني أنني سأفعل ما تفعل، سأتصرف كما تتصرف وربما سآخذ الحرفة التي اكتسبتها وأعمل عليها، ولكن يا أبي أنا لا أريد أن أفعل السوء كما تفعل، أنا لا أريد أن أصبح سكيرا، أنا أريد أن أكون أفضل من ذلك، وأنت حافزي، وأنت أبي الذي يوجهني ويقودني، فيا أبي، أرجوك من صميم قلبي أن تتغير، أن

تصبح أفضل، بالإقلاع عن هذه الآفة، أنا لا أريدك أن تدخل النار يا أبي، أريدك أن تدخل الجنة، فلتقلع عن الشرب، أرجوك، أنا أترجاك فلتحاول ذلك، سأدع لك الله الهداية وأن يرزقك التوبة فلا تخذلني يا أبي، ثم قبله على رأسه واتركه يا صاحبي العزيز وإذا بقي على ذلك الحال كرر معه، وحاول مرة أخرى، عسى أن يتوب الله عنه فقط ذكره من حين لآخر، وإياك أن تفشل وتفقد الأمل به أما أمك فعليك تقبيلها دوما واحتضانها لتشعرها بالحب و الإطمئنان والأمان، السكينة والقوة، عليك أن تزين ضعفها وتمسح دموعها، قل لها:

يا أمي أنت قرة عيني وحبي الجياش فلا تبكي من أجلي، فإن كل دمعة تنسكب من عينيك اللامعتين ستحدث دمارا في داخلي وفشلا في جسدي وطعنة في قلبي، أريدك أن تحرصي على أبي لأنك أنت أولى به للنصح والإرشاد، ولا تنسي الدعاء له وإن شاء الله يستقيم .. كوني قوية، أما أختك فقدر أوضاعها وأحوالها، عاملها باللطف واللين وانصحها ولا تضغط عليها، وقل لها:

يا أختي لا تفعلي بالرجال هكذا لا تفعلي بأخيك هذا، إنه أخاك ويجب عليك طاعته، فكفانا ألما بما يفعله أبي، ويجب أن نتحد لا أن نتفرق وننتشر علينا أن نتعاون ونشد بعضنا البعض حتى لا تكسرنا الحياة جميعا، وتتدمر حياتنا جميعا الآن ضعي عقلك في رأسك وفكري بمصير الأهل أجمع، فكري في حياتك، في أبيك وأمك وأخيك، ولنبني مجتمعا متعاضد متحاب، أتمنى أن يصلك ما قلت لك.

وفاة

كانت تربطهم علاقة محبة جياشة، إلى أن توفيت البنت في حادث سير وهي في سن السابعة من العمر، كانت صغيرة وبريئة، جميلة ورائعة، تحب أباها كثيرا وتلعب بأذنيه، عنقه وشفتيه، لكن العلاقة تغيرت، أصبحت ممزوجة بلوعة الحزن، بعد أن أصبح الأب بدون بنت حزينا ووحيدا، لقد وصل به الحال أن يكتب عنها ويتذكر شتى المواقف الحساسة التي كانت تفعلها معه، وما جعل دمعته تنزل لحظتها الذكرى التي لم ينساها إلى اليوم، حين حمل ابنته الصغيرة على ذراعيه متجها بها إلى المقبرة، إلى قبرها الصغير حيث لا أحد، والدموع تسيل من عينيه، والجمع الغفير من الأقارب وراءه، كان موقفا أشد ألما وحسرة وخسارة، لكن بفضل الله وتقواه عرف أنه أرجع أمانة التراب، بعدما دفنها وبدأ بالدعاء لها، حين ظل يكرر ويقول: اللهم هذه ابنتي قرة عيني وملكة قلبي ورفيقة دربي ارحمها يا رحمان وألحقني بها يوم ألقاك اللهم إنك أنت الأحد الصمد فهذه ابنتي هي اليوم ضيفة عندك فأحسن ضيافتها يا أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، آمين آمين.

ولادة قطة يقظة

ذات يوم شاهدت قطة في الشارع، بيضاء الشكل، زرقاء العينين وفي أسفل رجليها بقع سوداء، جميلة ولطيفة لكن الجميل فيما شاهدته أكثر، هو ذلك الشيء الذي كان في بطنها المنتفخ، الذي جعلها ضعيفة تعاني في المشي! كما أنها كانت تتأوه وتموء من الألم الذي ألحقه بها بطنها، وها أنا اكتشفت أن القطة كانت حاملا وهذا ما جعلها تتوجع، ففي تلك الحالة كانت علامات الولادة قد حانت، ولكن المشكلة أن القطة كانت في ذلك اليوم لا تستطيع الولادة حيث حاولت جاهدة لكن دون جدوى، ومن المدهش أن القطة في ذلك الحين جاهدت وجاهدت فنهضت وسارت ببطء حتى وصلت إلى باب المستشفى فوجدته مغلقا، فبدأت تنادي بطريقتها الخاصة، حتى سمعها الحارس، في حين فتح الباب فرآها معتكفة بجانبه ثم انتبه لبطنها الذي أوشك على ملامسة الأرض، فانبهر. عندئذ فهم الحالة التي كانت تمر بها، حملها وأسرع بها إلى غرفة الولادة ونادى الطبيب حالا فجاء مسرعا، رأى حالتها ثم لمس بطنها فقال لمساعديه علينا إجراء عملية قيصرية فالقطة لديها مشكلة في رحمها، بعد ذلك قاموا بذلك وأخرجوا أولادها من بطنها، فتمت العملية بنجاح حتى أن القطة عادت لحالتها الطبيعية، ولقد أخذوا أولادها الثلاثة لمركز العناية الفائقة وأدخلوهم فيها ترصدا لحالاتهم والعناية بهم، كان اهتمامهم بالقطة وأولادها في ذلك الحين كاهتمام المرأة بمولودها. من الرحمة أن نساعد مثل هذه الحيوانات ونرعاها. ومنذ ذلك الحين ظلت ذكرى ولادة القطة في نفوس الحاضرين، راسخة في عقولهم، منبهرين من القوة التي استمدتها من "الرفيق الأعلى" حتى وصلت إلى المستشفى وهي في تلك الحالة العصيبة، بدافع إنقاذ أولادها الصغار ورعايتهم!

الصيني المسلم

ليو رجل صيني جميل الوجه، كان يعمل في مصنع خاص بالنجارة وكان صديقه الذي يعمل معه رجلا عربيا مسلما، اسمه أيوب، ومن كثرة مصاحبته ولقائه في العمل اندهش من أفعال وأخلاق الرجل الحميدة التي كان يمارسها كل يوم، من صلاة ومعاملات وعطاء.. فظل متأثرا به حتى قرر اليوم تعلم ذلك منه، ذهب ليو إليه فوجده يعمل فقال له: مرحبا يا أيوب، أراك حيويا اليوم ..

يرد أيوب بابتسام: نعم .. هكذا قال ليو.

ليو يقول وهو حازم في قراره: أيوب، أريد منك اليوم أن تعلمني هذه الأمور التي إعتدت عليها، والتي زادت فيك النصف، لقد أعجبتني حقا فقال له محتارا: وأي أمور!

يرد ليو ضاحكا: تلك التي تمارسها في منتصف النهار وفي المساء ..

وتلك المعاملات اللطيفة مع عمال النجارة، أمور كثيرة أود تعلمها منك يا رفيقي هل فهمتني؟ أيوب يرد بحب وتآخ:

أمم، هذا رائع هل أعجبك ديننا؟ لأخبرك شيئا، إن ما تود أن تتعلمه مني هو شيء واحد فقط، إن تعلمته فاعلم أنك ستتعلم كل شيء، بإذن الله وهو الدين الإسلامي الذي ستجده بيسره وقيمته وكفاءته، وإذا أردت أن تكون منضبطا وفي استقامة واحدة فعليك اعتناق هذا الدين الشريف و الإنحياز لأمة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، والآن هل أنت موافق يا ليو؟

يرد ليو بوقار: نعم موافق يا أيوب لكن بشرط، ليبقى هذا سرا بيننا، لا تخبر أحد .

أيوب : أكيد يا عزيزي .. الآن لتبدأ حياة سديدة .. قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

ليو يكرر الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

أيوب بسعادة يرد عليه: هذا رائع، أنت الآن مسلم يا عزيزي ليو ..

هيا لقد أطلنا على العمل، لنكمل فيما بعد..

وها هو ذا مع الوقت يتعلم أمو را جديدة حول الدين الصحيح لكن المشكلة أنه في ذلك اليوم كان هناك في المصنع رجلا صينيا بوذيا يعرفه، لاحظ الرجل أن تصرفاته قد تغيرت، فظ ل يراقبه أيام إلى أن علم أنه اعتنق الإسلام وتاب، حيث كان هذا الرجل لا يحب الإسلام بل يكرهه كرها شديدا، مما جعله يشعر بالحنق والغضب الشديد تجاهه، فلم يشأ أن يذهب ويكشفه، بل كانت هناك مجموعة من البوذيين المتعصبين، السفهاء، أخبرهم بما علمه تجاهه، والذين كانوا على شكل عصابة يكنون كراهية شديدة لديننا الإسلامي الحنيف، كما كانوا خاصة لا يحبون اعتناق الرجل الصيني عامة الإسلام، وفي اليوم المعلوم، ها هو ليو يغادر العمل متجها إلى منزله، وفي طريقه توقفت سيارة سريعة سوداء بالكامل، نزل منها رجلين كان على أنفهما وفمهما "لثام" فقاموا بخطفه مباشرة والزج به داخل السيارة، لحظتها اتجهت نحو مكان خا ل بجانب الغابة الكبيرة، وعندما وصلوا قاموا بإدخاله وهو يصرخ ويرتعد خائفا إلى غرفة فارغة، نزعوا ملابسه وتركوه سوى في سروال قصير الطو ل، ثم حمل أحد السفهاء السوط الصلب وبدأ يض ربه مباشرة نحو رأسه وجسده كله دون أن يتكلم معه أو يسأله

يكرر ضربه وبدون شفقة إلى الرأس، الذراع، الفخذ ،وإذا به يصرخ ويبكي بكاء شديدا ودموعه تنزل كحب الشعير، عس ى أن يشفقوا عليه! ولكن كانوا بلا رحمة، بلا عاطفة، كانت الكراهية ظاهرة على وجوههم كانوا بشعين مخيفين، كان السفيه همجيا معه، لم يتوقف، حتى أصبح الرجل جسده مليء بالنكبات، وأحمر يسيل منه الدم وهو ميت المغامر، الشهيد "ليو".